

# كتاب

في الحكمة في مخلوقات الله عز وجل  
تصنيف الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد العارف  
حجة الاسلام ناصر الشريعة شرف الامة كنه الملة  
امام الحقيقة والطريقة زين الدين أبي  
حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس  
الله تعالى روحه ونور ضريحه  
وحشرنا في زمرة  
أمين

تراعنى بتصحيحه مصطفى القباني الدمشقي

١٩٠٣

( طبع على نفقته وبنفقة محمد امين الخانجي )

مكتبة دار الفقه

( حقوق الطبع محفوظة )

١٩٠٣

الطبعة الاولى

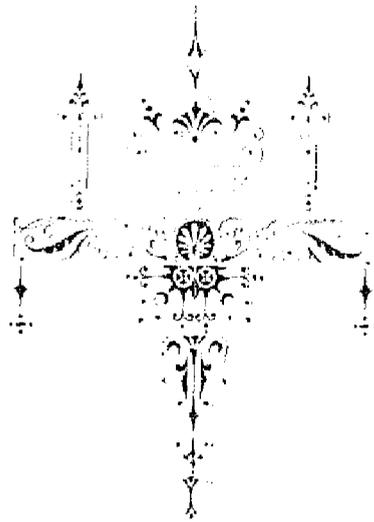
سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م

مطبعة النيل شارع باب الحلق بجوار الكتبخانه بمصر

فهرست

کتاب الحکمة في مخلوقات الله عز وجل

صفحة	صفحة
باب في حكمة خلق الطير ٣٥	باب التفكير في خلق السماء وفي هذا العالم ٢
باب في حكمة خلق البهائم ٤١	باب في حكمة الشمس ٣
باب في حكمة خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب وغير ذلك ٤٧	باب في خلق القمر والكواكب ٦
باب في حكمة السمك وما تضمن خلقها من الحكم ٥٣	باب في حكمة خلق الارض ٨
باب في حكمة خلق النبات وما فيه من عجائب حكمة الله تعالى ٥٦	باب في حكمة خلق البحر ١٢
باب ما تستشعر به القلوب من العظمة اعلام الغيوب ٦١	باب في حكمة خلق الماء ١٣
	باب في حكمة خلق الهواء ١٥
	باب في حكمة خلق النار ١٧
	باب في حكمة خلق الانسان ١٨
	خاتمة لهذا الباب ٣٣



لحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وكافة الانبياء  
والمرسلين . وبعد فلما كانت الكتب سبب السعادة والذريعة لاقتناء المنافع  
والافادة . اذهي العامل لسعادة الدارين . وفيصل الحقيقة بين الزين والشين .  
والصدق والمين وبها يحفظ العمران . ويعبد الرحمن . ويسعد الانسان .  
ويتفكر اليقظان . وتقام الشرائع . وتحرز الصنائع . وتؤخذ العبر . ويسمو  
البشر . وتتسع العقول . وتحرز الاصول والنقول . وأهمها فائدة وأكثرها  
لزوماً ما دل على وحدانية الصانع وسر حكمته في اختلاف مخلوقاته والطبائع .  
اذ بذلك يرسخ اليقين . فيفوز صاحبه بالسعادة الابدية في أعلا عليين .  
وكان عقد ذلك الموضوع النفيس . كتاب الحكمة في مخلوقات الله تأليف  
حجة الاسلام الامام الاوحد زين الدين أبي حامد الغزالي طاب ثراه . وكنت  
ممن شغف بمؤلفاته وعقد النية على نشر ما ينشر منها . وقد وفقت بحمد الله  
لنشر بعضها كما شغفت بنشر هذا الكتاب لما له من الشهرة بين مؤلفاته .  
واحتياج الناس لاقتباس فرائده والتفكير في بديع آياته وسمو ادراكه .  
ولكن من الاسف فقد كغيره من المشرق فأضحى كالعنقاء اسماً بلا عين  
فأخذت بالبحث عنه في دفاتر مكاتب الاستانة العلية والمكاتب السورية  
والمكتبة الخديوية فلم أقف له على أثر الا بدقت مكتبة برلين فصار لدى كالمسوط  
من وراء حجاب . بل كالظل في المرأة لما في الحصول عليه من كثرة المصاريف  
وشدة المشقة بعد الديار ولكن لم تزل أميتي تحدثني بالفوز بنشره . وأحياء  
رسمه وذكره . حتى قبض الله لي محب العلم وناسر الويته . وعاضد أهله

وكوكب أنديته . المفضل الشير أحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظام  
وذلك عند ذهابه لل مؤتمر الشرقي المنعقد في هامبورج من أعمال المانيا  
سنة ١٩٠٢ م عندما كان نائباً به عن الحكومة المصرية فذاكرته به فوعده  
بحفظه الله وأنجز وكاف بنسخه حضرة الفاضل النبيه الشيخ حامد والى أحمد  
وتخرجى دار العلوم المصرية ومعلم اللغة العربية في مدينة براين فبذل حفظه  
الله غاية جهده بتصحيحه ومقابته على النسخة الموجودة لديه وقد ظفرت  
في بعض وريقات من الكتاب المذكور فجاء بحمد الله بعد الجهد على غاية  
مايرام . من الاعتناء بالتصحيح وحسن الطبع والنظام . راجيا من الله التوفيق  
وحسن الثواب . انه وليّ فيوحسي ونعم الوكيل . مصطفى ابن المرحوم  
السيد محمد القباني  
الدمشقي



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ - صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم - ﴾

الحمد لله الذي جعل نعمته في رياض جنان المقربين . وخص بهذه الفضيلة من عباده المتفكرين . وجعل التفكير في مصنوعاته وسيلة لرسوخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين . استدلوا عليه سبحانه بعظمته وعماده . وتحققوا أن لا إله الا هو فوحدوه . وشاهدوا عظمته وجلاله فزهودوا . فبروا القيم بالتوسط في جميع الأحوال . وهم الشهداء على ذلك بالنظر والاستدلال . فعلموا أنه الحكيم القادر العليم . كما قال في كتابه الكريم . شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالتوسط لا إله الا هو العزيز الحكيم . والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين وشفيح المذنبين محمد خاتم النبيين . وعلى آله وصحبه وشرف وكريم الى يوم الدين . ( أما بعد ) يا أخي وفقك الله توفيق العارفين . وجمع لك خير الدنيا والدين . انه لما كان الطريق الى معرفة الله سبحانه والتعظيم له في مخلوقاته والتفكير في عجائب مصنوعاته . وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته . وكان ذلك هو السبب لرسوخ اليقين . وفيه تفاوت درجات المتقين . وضعت هذا الكتاب منها لعقول أرباب الالباب بتعريف وجود من الحكيم والنعم التي يشير اليها معظم آي الكتاب . فان الله تعالى خلق العقول وكل هداها بالوحي وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته . والتفكير

والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته ، لقوله سبحانه ( قل انظروا ماذا في السموات والارض ) وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون ) الى غير ذلك من الآيات اليبينات والدلالات الواضحات التي يفهمها ، والمترقى في اختلاف معانيها يعظم المعرفة بالله سبحانه التي هي سبب السعادة ، والنور بما وعد به عباد من الحسنی وزيادة ، وقد بوبته أبوابا يشتمل كل باب على ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من الخلق وذلك حسب ما انتهت له عقولنا فيما أشرنا اليه مع ان لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خافى الله سبحانه وتعالى وما وضع من الحكم في مخلوق واحد من مخلوقاته لعجزوا عن ذلك وما أدركته الخلائق من ذلك ما وهب الله سبحانه لكل منهم وما سبق له من ربه سبحانه والله المسؤل أن ينفعنا به برحمته وجوده .

### باب التذكير في خلق السماء وفي هذا العالم ﴿

قال الله تعالى ( أفلا ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ) وقال تعالى ( سبحان الله الذي خلق سبع سموات الآية ) اعلم رحمك الله انك اذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج اليه فالسمااء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كاللبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء من ذلك معدّ ميبأ لشأنه والانسان كالمالك للبيت الخول لما فيه فضروب النبات لما ربه وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحه فخلق سبحانه السماء وجعل سبحانه لونها أشدّ الالوان موافقة للابصار وتقوية لها ولو كانت اشعة أو أنواراً لأضرت الناظر اليها فأن الناظر الى الخضرة والزرقة موافق للابصار وتجد الثوب عند رؤية السماء في سعتها نعيماً وراحة لاسيما اذا انفطرت نجومها وظهر نور قرها والملوك تجعل في سقف مجالسها من النقش والزينة ما يجد الناظر اليه

به راحة وانسراحاً لكن اذا داوم الناظر اليه نظاره وكرره ملاماً وزال عنه ما كان  
يجده برؤيته من البهجة والانشراح بخلاف النظر الى السماء وزيتها فان الناظر  
اليها من الملوك فمن دونهم اذا ضجروا من الاسباب المضجرة لهم يلجئون الى  
ما يشرحهم من النظر الى السماء وسعة النضا. وقد قالت الحكماء يحدوك عندك  
من الراحة والنعيم في دارك بتمتد ما عندك فيها من السماء وفيها انها حاملة  
لجوامها المرصعة وقمرها وبحر كتها تسير الكواكب فتهدي بها أهل الآفاق  
وفيها طرق لا تزال توجد آثارها من المغرب والمشرق ولا توجد مجرّة ( ١ )  
ولا مقبلة صورة نور وقيل انها انجم صغار متكاثفة بجمعة يهتدي بها على السير  
من ضلّ ويحتر في أي جهة كانت فيقصدتها وقيل انها المشار اليها في قوله  
تعالى ( والسماء ذات الحبك ) قيل الحيك الطريق وقيل ذات الزينة فبي دلالة  
واضحة تدل على فاعلها وصنعتة محكمة صمدية تدل على سعة علم باريها وأموار ترتيبها  
كل تدل على ارادة منسبها فسبحان التادر العالم المريد. وقيل في النظر الى السماء  
عشر فوائد تنقص الهم وتقال الوسواس وتزيل غم الخوف وتذكر بالله وتنتشر  
في القلب التعظيم لله وتزيل الفكر الرديئة وتفتح المرض السوداء وتبني المشتاق  
وتؤنس المحبين وهي قبلة دعاء الداعين

### باب في حكمة الشمس

قال الله سبحانه ( وجعل الشمس سراجاً ) اعلم أن الله سبحانه خلق  
الشمس لأموار لا يستكمل علموا الا الله وحده فالذي ظور من حكمته فيها  
أن جعل حركتها لاقامة الليل والنهار في جميع اقاليم الارض ولولا ذلك لابطل  
امر الذين أو لولاه كيف كان يكون الناس يسعون في مایشوم ويتصرفون  
من أموره في الدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتبنون بالعيش مع فقدته لذة

النور ومشتته وأولا ضياء نورها ما تمتنع بالأبصار ولم تظهر الألوان وتأمل  
غروبها وغيبتها عن من طامت عليهم وما في ذلك من الحكمة ولولا ه لم يكن  
للخلق هدو ولا قرار مع شدة حاجتهم الى الهدو وراحة ابدانهم وخمود حواسهم  
وانبعاث القوة الهاشمة لهمضم طعامهم وتفنيد الغذاء ثم كان الحرص لهم على  
مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم مكانته في ابدانهم فان أكثر الحيوانات  
لولا دخول الليل ما عمدوا ولا قروا من حرصهم على نيل ما ينعمون به ثم  
كانت الارض تحمي بدوام شروق الشمس واتساعه حتى يحترق كل ما عليها  
من الحيوانات والنباتات فهي بطوعها في وقت وغروبها في وقت في النور  
بمنزلة سراج لأهل بيت يستضاء به وقتاً ويفيب وقتاً ليهتدوا ويقروا وهي في  
حرها بمنزلة يطبخ بها أهل الدار حتى اذا كمل طبخهم واستغنوا عنها أخذها  
من جاورهم وهو يحتاج اليها فينتنع حتى اذا قضى حاجته سلمها لآخرين فهي  
ابداً منصرفة في منافع أهل الارض بتضاد النور والظلمة على تضادها متعاونين  
متنافرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه والى هذه القضية الاشارة بقوله  
(قل أرايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة الآية) ثم بتقدمها  
وتأخرها تستقيم الفصول فيستقيم امر النبات والحيوان ثم انظر الى مسيرها  
في ذلك في مدة سنة وهي تطالع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها بتقدير  
خالتمها فأولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولما عرفت المواقيت  
ولو انطبقت الظلام على الدوام لكان فيه الملاك لجميع الخلق فانظر كيف جعل  
الله الليل سكناً ولباساً والنهار معاشاً وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في  
الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على الترتيب المخصوص وانظر الى امالة سير  
الشمس حتى اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء فاذا انخفضت من وسط  
السماء برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت وسط السماء اشتد القيظ واذا

كانت فيما بينهما اعتدل الزمان فيستقيم بذلك امر النبات والحيوان باقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وأما ما في ذلك من المصلحة في الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيه مواد الثمار ويستكشف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد ابدان الحيوان وتقوى أفعال الطبيعة وفي الربيع تحرك الطبايع في المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات باذن الله وينور الشجر وتهيج أكثر الحيوانات للتناسل وفي الصيف يخمر الهواء فينضج الثمار وينحل فضول الابدان ويحذف وجه الارض فتتهيأ لما يصاح لذلك من الأعمال وفي الخريف يصفو الهواء فترتفع الأمراض ويمتد الليل فيعمل فيه بعض الأعمال وتحسن فيه الزراعة وكل ذلك يأتي على تدرج ويقدر حتى لا يكون الانتقال دفعة واحدة الى غير ذلك مما يطول لو ذكر فهذا مما يدلك على تدبير الحكيم العليم وسعة علمه ثم تفكر في تنقل الشمس في هذه البروج لأقامة دور السنة وهذا الدور هو الذي يجمع الأزمنة الأربعة الشتاء والصيف والربيع والخريف وتسير فيها على التمام وفي القدر من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي غاياتها ثم تعود فتستأنف وقت السير وبمسيرها تكمل السنة ويقوم حساب السنة على الصحة على التاريخ بتقدير الحكيم العليم تأمل اشراق الشمس على العالم كيف دبره تبارك وتعالى فانها لو بزغت في موضع واحد لما لا تعود لما وصل شعاعها الا الى جهة واحدة وخلت عنها جميع الجهات فكانت الجبال والجدران تحجبها عنها فجماها سبحانه تشرق بطولها اول النهار من المشرق فيم شروقها ما يقابها من جهة المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب على ما استمر عنها اول النهار فلا يبقى موضع حتى يأخذ بقسطه منها ثم انظر الى مقدار الليل والنهار كيف وقبها سبحانه على ما فيه صلاح العالم فساروا بقدر لو تجاوزوا لانسرب كل ما على وجه الارض من

حيوان ونبات اما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر مادام يجد ضوء النهار وكانت  
البهائم لا تمسك عن الرعي فيؤول أسرها الى تلذبا واما النبات نتدوم عليه حرارة  
الشمس وتوهجها فيجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقداره ايضا لكان  
معوقا لأصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش وتجمد الحرارة  
الطبيعية من النبات فيعفن ويفسد كالذي يحدث على النبات اذا كان الموضع  
لا تقع الشمس عليه

### باب في خلقه القمر والكواكب

قال الله سبحانه وتعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل  
فيها سراجا وقرآنا ميرا) اعلم وفقك الله ان الله سبحانه وتعالى لما جعل الليل  
لبرد الهواء وهدو الحيوان وسكونه فلم يجعله سبحانه ظلمة داخية لا ضياء  
فيها البتة فكان لا يمكن ان يعمل عملا فيه وربما احتاج الناس الى بعض أعمالهم  
في الليل اما لضرورة أو لضيق وقت عليهم من النهار وقد يقع ذلك لشدة  
حرارة أو لغيره من الاسباب فكان ضوء القمر في الليل من جملة ما تحتاج اليه  
في المعونة على ذلك لجعل طلوعه في بعض الليالي وينقص نوره عن نور الشمس  
وحرها لئلا ينشط الناس في العمل بساطهم تأكل مابهم تمتعون من الهدو والقرار  
فيضرب ذلك بهم وجعل في الكواكب جزءا من النور يستعان به اذا لم يكن  
ضوء القمر وجعل في الكواكب زينة السماء وأنسا وانشراحا لاهل الارض  
فانظر ما اللطف هذا التدبير جمات للظامة دولة ومدة للحاجة اليها وجعل خلالها  
شيء من النور ليكمل به ما احتيج اليه ثم في القدر نلم الشهور والعنين وهو  
صلاح واعدة من الله ثم في النجوم ما رب اخرى فان فيها دلائل وعلامات على  
اوقات كثيرة لعمل من الاعمال كالزراعة والغراسة والاهتداء بها في السفر في  
البر والبحر وايشاء مما تحدث من الانواء والحر والبرد وبها يتدى السيارون

في ظلمة الليل ويقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة كما قال تعالى ( وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ) مع ما في ترددتها في السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من البهجة والنضارة وفي تصريف القمر خاصة في استهلاله ومحاقه وزيادته ونقصانه واستنارته وكسوفه كل ذلك دلالات على قدرة خالقها المصرف لها هذا التصرف لاصلاح العالم ثم انظر دوران الفلك بهذه الكواكب في كل يوم وليلة دورانا سريعا وسيرها معلوم مشاهد فانا نشاهدها طالعة وغاربة ولولا سرعة سيرها لما قطعت هذه المسافة البعيدة في اربعة وعشرين ساعة فلولا تدبير الباري سبحانه بارتفاعها حتى خفي عنا شدة سيرها في فلكها لكانت تحتطف بتوهجها السرعة حركتها كالذي يحدث أحيانا من البروق اذا توالى في الجو فانظر لعنف الباري سبحانه في تقدير سيرها في البعد البعيد لكيلا يحدث من سيرها حادث لا يخطر فيمحي مقدره في جميع الاحوال على قدر الحاجة وانظر في هذه التي تظهر في بعض السنة وتختبئ في بعضها مثل الثريا والجوزاء والشعرا فانها لو كانت كلها تظهر في وقت واحد لم يكن شيء منها دلالة على جزالة تعرفها الناس ويبتدون بها فكان في طلوع بعضها في وقت دون الآخر ما يدل على ما ينتفع به الناس عند طلوعه مما يصلحهم ولذلك جمعت بنات نعش ظاهرة لاتغيب كضرب من المصالحه فانها بمنزلة الاعلام التي يبتدي بها الناس للطرق الجبولة في البر والبحر فانها لاتغيب ولا تتوارى . ثم انظر لو كانت واقفة لبطات الدلالات التي تكون من تنقلات المنتقلة منها ومصيرها في كل واحد من البروج كما يستدل على اشياء تحدث في العالم بتنقل الشمس والقمر في منازلها ولو كانت منتقلة كلما لم يكن لمصيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه لانه انما يعرف مسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج المداية

كما يعرف سير السائر على الارض بالمازل التي يجتاز عليها فقد صار هذا التمام  
شمسه وقره ونجومه وبروجه تدور على هذا العالم بهذا دورا نادما في التصول  
الاربعة من السنة لصلاح ما فيه من حيوان ونبات وغير ذلك بتقدير العزيز العليم  
ومن عظيم الحكمة خلق الافلاك التي بها ثبات هذا العالم على نهاية من الاتقان  
لذول البقاء وعدم التغير فقد كفى الناس التغير في هذا الامر الجميل الذي ليس  
قدرة ولا حيلة في اصلاحه لو نزل به تغير يوجب ذلك التغير امرا في الارض  
اذ قوام الارض مرتبط بالسما فالا مرفي جميع ذلك ماض على قدرة الباري  
سبحانه لا يخل ولا يعتل ولا يتخلف منه شيء عن ميقاته لصلاح العالم  
فسبحان العليم التقدير

### باب في حكمة خلق الارض

قال تعالى (والارض فرشناها فنعم المائدون) ثم انظر كيف جعل الله  
الارض مهادا ليستقر عليها الحيوان فانه لا بدله من مستقر ولا غناله عن قوت  
جميع الارض محل للنبات لتوته ومسكن يكتنه من الحر والبرد ومدفن يدفن  
فيه ما تؤذي رائحته والجيف والاقذار من اجسام بني آدم وغيرها كما قال  
سبحانه (الم نجعل الارض كنباتا احياء وامواتا) قيل في تفسير هذه الآية هذا  
القول وغيره ثم ذال طرقا لتنتقل فيها الخلق لطاب ما ربهم فهي موضوعة لبقاء  
النسل من جميع اصناف الحيوان والحرب والنبات وجعل فيها الاستقرار واثبات كما  
نبه على ذلك سبحانه وتعالى بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا  
لكم ولا نعماءكم) فامكن الخلائق بهذا السفر فيها في ما ربهم والجلوس لراحتهم والنوم  
لهدوهم والانتقال لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة متحركة لم يستطيعوا أن يتقنوا  
شيئا من النبات وجميع الصناعات وكانوا لا يتهنون بالعيش والأوض ترج بهم  
من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس في الزلازل ترهيبا للخلق وتخويفا لهم

لعلهم يتقوا الله وينزعوا عن الظلم والعصيان فهذا أيضاً من الحكمة البالغة ثم ان الارض طبعها الله باردة يابسة بقدر مخصوص أرأيت لو أفرط اليبس عليها حتى تكون بجملتها حجراً صلباً لما كانت تثبت هذا النبات به حياة الحيوانات ولا كان يمكن فيها حرث ولا بناء فجعل لينها تشبهاً لهذه الاعمال ومن الحكمة في خلقها ووضعها أن جعل مهب الشمال ارفع من الجنوب لينحدر الماء على وجه الارض فيسقيها ويرويها ثم يصير الى البحر في آخر الامر فاشبهه ذلك ما اذا رفع أحد جانبي السطح وخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولولا ذلك لبقي الماء مستبحراً على وجه الارض فيمتنع الناس من اعمالها وتنقطع الطرق والمسالك بسبب ذلك. انظر الى ما خلق الله فيها من المعادن وما يخرج منها من انواع الجواهر المختلفة في مناعتها والوانها مثل الذهب والفضة والياقوت والزمرد والبسنتش<sup>(١)</sup> واشياء كثيرة من هذه الاحجار الشفافة المختلفة في الوانها وانواع اخر مما يصلح للاعمال والجمال كالحديد والنحاس والقزدير والرصاص والكبريت والزرنيخ والتوتيا والرخام والجبس والنفط وانواع لو عددت لطال ذكرها وهو مما ينفع به الناس وينصرف فيما يصلحهم فهذه نعم يسرها سبحانه لهم لعمارة هذه الدار ثم انظر الى ارادة ايجادته من عمارتها وانتفاع العباد بها لجمالها مشقة سهلة بخلاف ما لو كانت على نحو خلق الجبال فلو يبست كذلك لتعذرت فان الحرث لا يستقيم الا مع رخو الارض لزراعة الاقوات والثمر والا لا يتعدى اذا صابت الماء الى الحب مع ان الحب لا يمكن دثنه الا بعد أن تلين الارض بالنداوة ويأخذ الورق وهي ضعيفة في ابتدائها في الارض التربة ويمكن اذ ذلك عمداً وتحرريكها حتى تشرب ما ينزل عليها من الماء فيخلق الله سبحانه عند ذلك العروق متلبسة بالثرى حتى ينف الشجر والنبات على ساقه وجعل ما يخلق من العروق يوازن

(١) هكذا الاصل ولم اجده في اللسان

ما يخلق من الفروع ومن رحمته في لينها أن يبسر للناس حفر الآبار في المواضع  
المحتاجة الى ذلك اذ لو حضرت في الجبال لصعب الامر وشق ومن الحكمة في  
لينها تيسير السير للسعاة فيها اذ لو صلبت لعسر السير ولم تظهر الطرق وقد نبه الله  
تبارك وتعالى على ذلك بقوله (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في  
مناكبها) وقال تعالى (وجعل فيها سبلا فجا العلمهم يهتدون) ومن ذلك ما يستعين  
به العباد من ترابها ولينها في البناء وعمل اللبن وأواني الفخار وغير ذلك والمواضع  
التي ينبت فيها الملح والشب والبورق والكبريت أكثرها تربة رخوة وأيضا  
اجناس من النبات لا يوجد الا في التراب والرمل دون الارض المحيطة ويخلق  
فيها كثير من الحيوان لسهولة حفرها فيتخذون فيها مسارب وبيوتا يؤوى اليها  
ومن الحكمة فيها خلق المعادن كما ذكرنا فقد امتن سبحانه على سليمان عليه  
السلام بقوله (واسلنا له عين القطر) أي سهلت له الانتفاع بالنحاس واطاعناه على  
معدنه وقال امتنانا على عباده (وأنزّلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)  
والنزول بمعنى الخلق كما قال سبحانه (وانزل لكم من الانعام) أي خلق والهمهم  
استخراج ما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك لمنافعهم وما يحتاجون اليه في  
معاشهم وفي اتخاذ اوانهم وفي ضبطها ما يحتاجون الى ضبطه وتقويته واتخاذ  
انواع من الحجارة النخيسة لتبني فيها كلزجاج ويتخذون منها أواني لحفظ ما يحفل  
فيها من الأمور النخيسة لتبني فيها سائمة لوقت الاحتياج اليها اذ لا غنى لهم  
عنها وكذلك يستخرج من المعادن الاحمال مثل (الدهب<sup>(١)</sup> والرمعما) والسادن  
والتوتيا وغير ذلك من اصناف ينتفعون بها فسبحان المنعم الكريم ومن الحكمة  
البالغة فيها خلق الجبال قال الله تعالى (والجبال ارساها) وقال تعالى (جعل فيها  
رواسي أن تמיד بكم) وقال سبحانه (وأزلنا من السماء ماء فاسكنناه في الارض) فقد

خلق سبحانه فيها الجبال لمنافع متعددة لا يحيط بجميعها الا الله فمن ذلك ان الله تعالى انزل من السماء المياه ليحيي بها العباد والبلاد فلو كانت الارض عارية عن الجبال لحكم عليها الهواء وحر الشمس مع رخو الارض فكانوا لا يجدون المياه الا بعد حفر وتعب ومشقة فجعل سبحانه الجبال لتستتر في بطونها المياه ويخرج أولا فأولا فتكون منها عيون وانهار وبحار يرتوي بها العباد في أيام التيفض الى اوان نزول غيث السماء ومن الجبال ما ليس في باطنها محل للمياه فجعل الثلج محفوظاً على ظاهرها الى أن يحله حر الشمس فيكون منه انهار وسواقي ينتفع بها الى اوان نزول الغيث أيضاً ومنها ما يكون فيه برك يستتر فيها الماء فيؤخذ منها وينتفع به كما ينتفع به من الاحباب ومن منافع الجبال ما ثبت فيها من انواع الاشجار والعقاقير التي لا توجد الا فيها وما ثبت فيها من انواع الاخشاب العظيمة فيعمل منها السفن وتعد منها المساكن وفيها الشعاري التي لا يوجد ما يعظم من الاخشاب الا فيها وكذلك العقاقير اكثرها لا يوجد الا بها وفيها وهاد ينبت مزارع للانعام ومزارع لبني آدم ومساكن للوحوش ومواضع لاجنح<sup>(١)</sup> النحل ومن منافع الجبال ما يتخذها العباد من المساكن تقيهم الحر والبرد ويتخذون مدافن لحفظ جثث الموتى وقد ذكر الله ذلك فقال (ويتخذون من الجبال بيوتا آمنين) ومن فوائدها أن جعلت اعلاما يستدل بها المسافرون على الطرقات في نواحي الارض ويستدل بها المسافرون في البحار على المين والسواحل ومن فوائدها ان الفئمة القليلة الضعيفة الخائفة من عدوان من لا تطيقه تتخذ عليها ما يحصنهم ويؤمنهم ويمنعها ممن تخافه فتطدئ لذلك وانظر كيف خلق الله فيها الذهب والفضة وقدرها بتقدير مخصوص ولم يجعل ذلك ميسراً في الوجود والقدر مع سعة قدرته وشمول نعمته كما جعل هذه السعة في المياه

(١) الاجنح جمع جانح كشاهد واشهاد اراد به موائلها

وما ذلك الا لما سبق في علمه لخلائقه مما هو الاصلاح كما اشار الى ذلك بقوله  
(وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فسبحان العليم الحكيم

### باب في حكمة البحر

قال الله تبارك وتعالى (وهو الذي سخر البحر لنا نأكلو منه لحما طريا) الآية  
اعلم رحمك الله ان الله سبحانه وتعالى خلق البحار وأوسع فيها لعظم نفعها فجعلها  
مكتنفة لاقطار الارض التي هي قطعة من الارض المستورة بالبحر الا عظم المحيط  
بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البراري والجمال عن الماء بالاضافة  
الى الماء كبروة صغيرة في بحر عظيم فاعلم ان ما يخلق في الارض من الحيوان  
بالاضافة الى ما خلق في البحر كاضافة الارض الى البحر وقد شاهدت عجائب  
فيها ما هو مكشوف منها فتأمل عجائب البحر فان فيه من الحيوان والجواهر  
والطيب اضعاف ما تشاهده على وجه الارض كما ان سمته اضعاف سعة الارض  
ولعظم سمته كان فيه من الحيوانات والدواب العظيمة ما اذا أبدت ظهورها  
على وجه البحر ظن من يراها انها حشاف (١) وجبال أو جزائر وما من صنف من  
اصناف حيوان البر من انسان و طائر و فرس و بقرة وغير ذلك الا وفي البحر  
امثالها و اضعافا وفيه اجناس من الحيوانات لم تعود امثالها في البر وكل منها قد  
دبره الباري سبحانه وخلق فيه ما يحتاجه و يصلحه ولو استقصى ذكر ما يحتويه  
بعضه لاحتاج الى وضع مجلدات ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ مدورا في صدف  
تحت الماء و اثبت المرجان في جنح صخور في البحر فقال سبحانه (يخرج منهما اللؤلؤ  
و المرجان) وذلك في معرض الامتنان و قيل المرجان المذكور في القرآن هو  
الريق من اللؤلؤ ثم قال (فبأي آلاء ربكما تكذبان) و آلاؤه تفضله و نعمه ثم

(١) الحشاف جمع حشفة وهي الجزيرة في البحر لا يعلوها الماء او الصخرة الرخوة

انظر ما يقذفه من العنبر وغيره من المنفوع ثم انظر الى عجائب السفن وكيف مسكوها على وجه الماء تسير فيها العباد لطلب الاموال وتحصيل ما لهم من الاعراض وجعلها من آياته ونعمته (فقال والنلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) فجعلها بتسخيره تحملهم وتحمل اثقالهم وينقلون بها من اقاليم الى اقاليم لا يمكن وصولهم اليها الا بالسفن ولوراموا التوصل بغيرها لآدى الى اعظم المشقات وعجزوا عن نقل ما ينقل من المنقولات الى ما بعد من البلاد والجهات فلما اراد الله سبحانه وتعالى ان يلف بعباده ويهون ذلك عليهم خلق الاخشاب متخلخة الاجزاء بالهواء ليحملها الماء ويبقى فيها من الفضاء عن نفسها ما يحمل به الاثقال والهم العباد اتخاذها سفنا ثم ارسل الرياح بمقادير في اوقات تسوق السفن وتسيرها من موضع الى موضع آخر ثم الهم اربابها معرفة اوقات هبوبها وقترتها حتى يسيروا بالرياح التي تحملها شرعها وانظر الى ما يسره سبحانه في خلقه الماء اذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل الاجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطع حتى كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال حتى يمكن سير السفن فيه فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله في هذا كله وفي بعضه متسع للذكر وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضاهرة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معرفة عن كمال قدرته وعجائب حكمته قائلة أما ترى تصويري وتركيبى وصفاتي زمنا واختلاف حالي وكثرة فوائدي أبيض ذولب سليم وعقل رصين اني تلونت بنفسي او ابدعني أحد من جنس بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار

### ﴿باب في حكمة خلق الماء﴾

قال الله تبارك وتعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وقال سبحانه (فانشأنا به حداثق ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شجرها أله مع

الله بل قوم يعدلون) انظر وفقك الله الى ما من به سبحانه وتعالى على عباده بوجود الماء العذب الذي به حياة كل من على وجه الارض من حيوان ونبات فلو اضطر الانسان الى شربة منه ومنع منها لمان عليه أن يبذل فيها جميع ما يمكنه من خزائن الدنيا والعجب من غفلة العباد عن هذه النعمة العظيمة وانظر مع شدة الحاجة اليها كيف وسع سبحانه على العباد فيها ولو جعلوا بقدر اضايق الامر فيها وعظم الحرج على كل من سكن الدنيا ثم انظر لطافة الماء وورقه حتى ينزل من الارض ويخالل اجزاءها فتتغذى عروق الشجر ويصعد باطافته بواسطة حرارة الشمس الى اعالي الشجر والنبات وهو من طبعه الهبوط ولما كانت الضرورة تدعو الى شربه لاهل الاعانة الاغذية في اجواف الحيوان ليتصرف الغذاء الى موضعه جعله لشاربه في شربه لذة عند حاجته اليه وقبوله له ويجد شاربه فيه نعيما وراحة وجعل مزيلا للادران عن الابدان والاوساخ عن الثياب وغيره وبالماء يبيل التراب فيصلح للبناء والاعمال وبه يرطب كل يابس مما لا يمكن استعماله يابسا وبه ترق الاشربة فيسوغ شربها وبه تطفأ عاذبة النار اذا وقعت فيها فلا تلتهب فيه واشرف الناس منها عليها يكرهون وبه تزول الغصة اذا اشرف صاحبها على الموت وبه يغتسل التعب الكمال فيجد الراحة لوقته وبه تستقيم المطبوخات وجميع الاشياء التي لا تستعمل ولا تصلح الا رطبة الى غير ذلك من ما رب العباد التي لاغنى لهم عنها فانظر في عموم هذه النعمة وسهولة تناولها عن قدرها مع شدة الحاجة اليها فلو ضاقت لك قدرت الحياة في الدنيا فعلم بهذا ان الله تبارك وتعالى اراد بانزاله وتيسيره عمارة الدنيا بما فيها من حيوان ونبات ومعادن الى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها الوصف لمن يروم حصرها فسيحان المتفضل العظيم

## ﴿ باب الحكمة في خلق الهواء ﴾

قال الله تعالى (وارسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فاسقينا كمود وما اتم له بخازنين) اعلم رحمك الله ان الهواء في خلقه (١) تتخلله الرياح ولولا ذلك لهلك جميع حيوان البرو باستنشاقه تعطل الحرارة في اجسام جميع الحيوانات لانه لهم مثل الماء لحيوان البحر فلو انقطع عن الحيوان استنشاقه انصرفت الحرارة التي فيها الي قلبها فكان هلاكها بسبب ذلك ثم انظر الي الحكمة في سوق السحاب به فيقطع المطر بانتقال السحاب في موضع يحتاج الي المطر فيها للزراعة فلولا لطف الباري بخلق الرياح لثقلت السحاب وبقيت راكدة في اماكنها وامتنع انتفاع الارض بها ثم انظر عنها كيف تسير السفن بها وتنتقل بحدوثها وهبوبها فتحمل فيها من اقاليم الي اقاليم مما لا يخلق تلك الاشياء فيها فينتفع اهلها فلولا ثقلها بالهواء لم تكن تلك الاشياء الا بمواضعها التي خلقت فيها خاصة ولعسر نقلها بالدواب الي غيرها من الاقاليم والعباد ضرورات تدعو الي ما ينقل اليهم مما ليس يخلق عندهم ومنافع يكثر تعدادها من طلب ارباح لمن يجلبها ويعلم فوائدها ثم انظر الي ما في الهواء من اللطافة والحركة التي تتخلل اجزاء العالم فينتفي بحركته عن الارض فلولا هذه لغفت المساكن وهلك الحيوان بالوباء والعلال ثم انظر الي ما يحصل منه من النفع في نقل السواقي والرمال الي البساتين وتقوية اشجارها بما ينتقل اليها من التراب بسبب حركة الهواء وتستر وجوه جبال بالسافي (٢) فيمكن الزراعة فيه وما فصل الي السواحل مما ينتفع الناس بسببه وكل ذلك بحركة البحر بالهواء فيمتد البحر العنبر وغيره مما ينتفع به العباد في امورهم ثم انظر كيف يتفرق المطر بسبب حركة الهواء فيقع على الارض

(١) الخلق الاهوية بين السماء والارض واحدها خالق والهواء القراغ قال تعالى

واقدمتهم هواء (٢) السافي التراب الذي تسفيه الريح أي تحمله

قطرات فلولا حركة الهواء لكان الماء عند نزوله ينزل انصباباً واحدة فيهلك ما يقع عليه ثم يجتمع بلل القطرات فيجتمع انهاراً وبحاراً على وجه الارض من غير تضرر ويحصل بذلك مقصودهم على احسن وجه فالنظر الى ارحمة الله فسبحان اللطيف بخلقه المدبر الملكه ثم انظر عموم هذه الرحمة وعظيم نعمها وشمول هذه النعمة وجليل قدرها كما نبه العقول عليها بقوله تعالى ( هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ) ثم من تمام النعمة وعظيم الحكمة ان جعل سبحانه الصحو يتخلل نزول الغيث فصاروا يتعاقبان لما فيه صلاح هذا العالم فلو دام واحد منهما عليه لكان فساداً . ألا ترى الى الامطار اذا تواتت وكثرت غنمت البقول والخضروات وهدمت المساكن والبيوت وقطعت السبل ومنعت من الاسفار وكثير من الحرف والصناعات ولو دام الصحو لجفت الابدان والنبات وعضن الماء الذي في العيون والادوية فأضر ذلك بالعباد وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً آخر من الامراض وغلت بسببه الاسعار من الاقوات وبطل المرعى وتعذر على النحل ما يجدونه من الرطوبة التي يرعاها على الازهار واذا تعاقبا على العالم اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر فصلحت الاشياء واستقامت وهذا هو الغالب من مشيئة الله فان قيل قد يقع من احدهما ضرر في بعض الاوقات . قلنا قد يكون ذلك لتنبية الانسان بتضاد الاشياء على نعمة الله تعالى وفضله ورحمته انه هو الغالب فيحصل لهم بتلك انزجار عن الظلم والعصيان ألا ترى من سقم جسمه احتاج الي ما يلائمه من الادوية البشعة الكريمة ليصلح جسمه ويصح ما فسد منه قال الله (ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خير بصير)

باب في حكمة خلق النار ﴿١٧﴾

قال الله تعالى ( أفرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشعون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) اعلم وفقنا الله واياك ان الله خلق النار وهي من أعظم النعم على عباده ولما علم الله سبحانه وتعالى ان كثرتها وبثها في العالم مفسدة جعلها الله بحكمته محصورة حتى اذا احتيج اليها وجدت واستعملت في كل أمر يحتاج اليها فيه فهي مخزونة في الاجسام ومنافعها كثيرة لا تحصى فمنها ما تصلحه من الطباخ والاشربة التي لولاها لم يحصل فيها نضج ولا تركيب ولا اختلاط ولا صحة هضم لمن يستعملها في أكل وشرب فانظر لطف الباري سبحانه في هذا الامر المهم ثم انظر فيما يحتاج الناس اليه من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقزدير وغير ذلك فلولاها لم يكن شيء من الانتفاع من هذه الاشياء فيها يذاب النحاس فتعمل منه الاواني وغيرها وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك بانها نعمة توجب الشكر فقال تعالى (اعملوا آل داود شكراً) وبه يابن الحديد فيعملون به أنواعاً من المنافع والآلات للحروب مثل الدروع والسيوف الى غير ذلك مما يطول تعدادها وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك فقال ( وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ) وقال تعالى ( ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) ومنه يعمل آلات للحرث والحصاد وآلات تتأثر بها النار وآلات يطرق بها وآلات لقطع الجبال الصخرة وآلات لنجارة الاخشاب مما يكثر تعدادها فلولا لطف الله سبحانه بخلق النار لم يحصل من ذلك شيء من المنافع ولولاها لما كان تهرباً للخلق من الذهب والفضة نقود ولا زينة ولا منفعة وكانت هذه الجواهر معدودة من جملة الاتربة ثم انظر الى ما جعل الله تعالى في النار من الفرح والتروح عند ما تغشى الناس ظلمة الليل كيف يستضيئون بها

ويبتدون بنورها في جميع أحوالهم من أكل وشرب وتمهيد سراقده ورؤية  
 ما يؤذيهم وهوانسة مرضاتهم وقصدها والعمل عليها براً وبحراً فيجدون بوجودها  
 انسا حتى كأن الشمس لم تغب عن أفقهم ويدفعون بها ضرر الثلوج والرياح الباردة  
 وليستعينون بها في الحروب ومقاومة حصون لا تملك الا بها فانظر  
 ما اعزاهم قدر هذه النعمة التي جعل سبحانه حكمها بأيديهم ان شاؤوا اخزنوها  
 وان شاؤوا ابرزوها

### ﴿ باب في حكمة خلق الانسان ﴾

قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) الى آخر ما وصفه  
 سبحانه . أعلم وفقك الله تعالى ان الله عز وجل لما سبق في علمه خلق الخلق  
 وبهم في هذه الدار وتكليفهم فيها للبلوى والاختبار خلقهم سبحانه متناسلين  
 بعضهم من بعض فخلق سبحانه الذكر والانثى وألقى في قلوبهم المحبة والدواعي  
 حتى عجزوا عن الصبر وعندما الحيلة في اجتناب الشهوة فساقهم الشهوة المنفطورة  
 في خلقهم الى الاجتماع وجعل الذكورة تحرك عضواً مخصوصاً به الى ايداع  
 الماء في القرار المكين الذي يخلق فيه الجنين فاجتمعت فيه النطفة من سائر  
 البدن وخرجت ماء دافقاً مندفعاً من بين الصلب والترائب بحركة مخصوصة  
 فأتقت بسبب الافلاج من باطن الى باطن فكانت مع انتقالها باقية على أصلها  
 لانها ماء مويين أدنى شيء يباشرها يفسدها ويغير أصلها لانها ماء مويين أدنى  
 شيء يباشرها يفسدها ويغير مزاجها فهي ماء يختلط جميعه منستوية اجزاؤه لا تفاوت  
 فيها بحال فخلق سبحانه منه الذكر والانثى بعد نقلها من النطفة الى العلقة الى  
 المضغة الى العظام ثم كساها اللحم وشدها بالاعصاب والاوراق ونسجها بالعروق  
 وخلق الاعضاء وركبها فدور سبحانه الرأس وشق فيها السمع والبصر والانف  
 والتم وسائر المنافذ فجعل العين للبصر ومن العجائب سر كونها مبصرة للاشياء

وهو أمر يميز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات لكل طبقة صفة  
وهيئة مخصوصة بها فلو فقدت طبقة منها أو زالت لتعدلت عن الابصار وانظر  
الى هيئة الاشعار التي تحيط بها وما خلق فيها من سرعة الحركة لتتي العين  
مما يصل اليها مما يؤذيها من غبار وغيره فكانت الاشعار بمنزلة باب يفتح  
وقت الحاجة ويغلق في غير وقت ولما كان المتصود من الاشعار جمال العين  
والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة تضر بالعين ولا تنقص نقصاً  
يضرها وخلق في ماؤها ملوحة لتقطع ما يقع فيها وجعل طرفيها منخفضين  
عن وسطها قليلاً لينصرف ما يقع في العين لاحد الجانبين وجعل الحاجبين  
جمالاً للوجه وستراً للعينين وشعرهما يشبه الاهداب في عدم الزيادة المشوهة  
وجعل شعر الرأس واللحية قابلاً للزيادة والنقص فيعمل فيهما ما يقصد به  
الجمال من غير تشويه ثم انظر الى النم واللسان وما في ذلك من الحكم فجعل  
الشفيتين ستراً للنفم كأنهما باب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى نتجه وهو ستر  
على اللثة والاسنان مفيد للجمال فلولاها لتشوهمت الخلق وهما معينان على  
الكلام واللسان لانطق والتعبير عما في ضمير الانسان وتقلب الطعام والقائه  
تحت الاضراس حتى يستحکم مضغه ويسهل ابتلاعه ثم جعل الاسنان أعداداً  
متفرقة ولم تكن عظماً واحداً فان أصاب بعضها لم تنتفع بالباقي وجمع فيها بين  
النتع والجمال وجعل ما كان منها معكوساً زائد الشعب حتى تطول مدته مع  
الصف الذي تحته وجعلها صلبة ليست كغذاء البدن لدعاء الحاجة اليها على الدوام  
وفي الاضراس كبر وتسريف لاجل الحاجة الى درس الغذاء فان المضغ هو  
الهضم الاول وجعلت الشيا والانياب لتقطع الطعام وجمالاً للنفم فاحكم اصولها  
وحدد دروسها وبيض لونها مع حمرة ما حولها متساوية الرأس متناسبة  
التركيب كأنها الدر المنظوم ثم انظر كيف خلق في النفم نداوة محبوسة لا تظاهر

الا في وقت الحاجة اليها فلو ظهرت وسالت قبل ذلك لكان تشويها للانسان  
 فجعلت ليبل بها ما يعضغ من الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم  
 فاذا فقد الاكل عدت تلك الندوة الزائدة التي خلقت للترطيب وبقي منها  
 ما يبل اللهوات والخلق اتصون الكلام ولا يجف فان جفافه مهلك للانسان  
 ثم انظر الى رحمة الله ولطفه اذ جعل للاكل لذة الاكل فجعل الذوق في اللسان  
 وغيره من اجزاء الفم يعرف بالذوق ما يوافقه ويلائمه من المذوذ فيجد في ذلك  
 راحة في الطعام والشراب اذا دعت حاجة الى تناوله وايجنب الشيء الذي لا يوافقه  
 ويعرف بذلك حد ما تصل الاشياء اليه في الحرارة والبرودة ثم ان الله تعالى  
 شق السمع وأودعه رطوبة مرة يحفظ بها السمع من ضرر الدود ويقتل أكثر  
 الهوام الذين يلجون السمع وحفظ الاذن بصدفه لتجمع الصوت فترده الى  
 صماخها وجعل فيها زيادة حس لتحسن بما يصل اليها مما يؤذيها من هوام وغيره  
 وجعل فيها تعويجات ليتطرد فيها الصوت واتكثر حركة ما يدب فيها ويطول  
 طريقه فيتنبه ويستأسر ويتنبه صاحبها من النوم ثم انظر الى ادراكه المشومات  
 بواسطة ولوج الهواء وذلك سر لا يعلم حقيقةه الا الباري سبحانه الى غير ذلك  
 ثم انظر كيف رفع الانف في وسط الوجه فأحسن شكله وفتح منخريه  
 وجعل فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاقه على روائح مطاعمه ومشاربه وليتنم  
 بالروائح العطرة ويجنب الخبائث القذرة وليستشق ايضاً روح الحياة غذاء  
 لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه ثم خلق الحنجرة وهيئها لخروج الاصوات ودور  
 اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في مجاري مختلفة تختلف بها  
 الحروف ليسع طرق النطق وجعل الحنجرة مختلفة الاشكال في الضيق والسعة  
 والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت  
 بسبب ذلك الاصوات فلم يتشابه صوتان كما خلق بين كل صورتين اختلافاً

فلم تشبهُ صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت وكذلك يظهر بين كل شخصين فرقان وذلك لسر التعارف فان الله تعالى لما خلق آدم وحواء خالف بين صورتيهما فخلق منهما خلقا جعله مخالفا لخلق أبيه وأمه ثم توالى الخلق كذلك لسر التعارف ثم انظر لخلق اليبدين تهدين الى جانب المقاصد ودفع المضار وكيف عرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم الاصابع بأنامل وجعل الاربعة في جانب والابهام في جانب فيدور الابهام على الجميع فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستطيعوا بدقيق الفكر وجهاً آخر عن وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في وصف واحد لم يقدرُوا على ذلك وبهذا الوضع صلح بها القبض والاعطاء فان بسطها كانت طبقة يضع عليه ما يريد وان جمعها كانت آلة يضرب بها وان ضمها ضمّاً غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعه كانت مجرفة ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تضعف ويانمط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل لولاها وليحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فانظر أقل الاشياء في جسمه لو عدمها وظهرت به حكمة لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن دفع ما يؤلمه وجاب ما يذنبه به في ذلك ولم يقم له غير الظفر مقامه في حك جسمه لانه مخلوق لذلك ولغيره فهو لاصاب كصلابة العظام ولا رخو كرخاوة الجلد يطول ويخنق ويقص ويقصر لمثل ذلك ثم جعله يهتدي به الى الحك في حالة نومه ويقفّته ويقصد المواضع الى جهتها من جسمه ولو احتاج الى غيره واستعان به في حكها لم يعثر الغير على مواضع الحاجة الا بعد طول وتعب ثم انظر كيف مد منه الفخذين والساقين وبسط القدمين ليتكّن بذلك من السعي

وزين القدمين بالاصابع وجعلها زينة وقوة على السبي وزين الاصابع أيضاً  
بالاظفار وقواها بها ثم انظر كيف خلق هذا كله من لطفة مهيبة ثم خلق  
منها عظام جسده فجعلوا أجساماً قوية صلبة لتكون قواماً للبدن وعماداً له  
وقدرها تبارك وتعالى بمقادير مختلفة وأشكال متناسبة فمنها صغير وطويل  
ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ثم أودع في أنابيب هذه  
العظام المنخ الرقيق مصانناً لمصلحتها وتقويتها \* ولما كان الانسان محتاجاً الى جملة  
جسده وبعض أعضائه لتردده في حاجاته لم يجعل الله سبحانه عظامه عظماً  
واحداً بل عظماً كثيرة وبينها مفاصل حتى تيسر بها الحركة فقد رشح كل  
واحد منها على قدر وفق الحركة المطاوعة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها  
ببعض بأوتاد أثبتها بأحد طرفي العظم والصق الطرف الآخر كالرباط ثم خلق  
في أحد طرفي العظام زوائد خارجة منها ومن الآخر نقرات غايصة فيها توافق  
لاشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق فصار الانسان ان يحرك شيئاً من جسده  
دون غيره لم يمتنع عليه فلولا حكمة خلق المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف  
جعل خلق الرأس مركباً من خمس وخمسين عظماً مختلفة الاشكال والصور  
والف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس كما ترى فمنها ستة تختص  
بالقحف وأربعة وعشرون للحجى الاعلى واثان للحجى الاسفل والبقية من الاسنان  
بعضها عريض يصلح للطحن وبعضها حاد يصلح للقطع ثم جعل الرقبة مركز  
الرأس فركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات وزيادات ونقصان لينطبق  
بعضها على بعض ويطول ذكر الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر من  
اسفل الرقبة الى منتهي عظم العجز من اربعة وعشرين خرزة وعظم العجز ثلاثة  
اخرى مختلفة ووصل به من اسفله عظم العصعص وهو مؤلف من ثلاثة  
اخرى ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين

وعظام العانة وعظام العجز وعظام الذنخين والساقين واصابع الرجلين فجملة عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظاماً سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق البارئ سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة رقيقة سخيفة والمقصود من ذكر اعدادها تعظيم مدبرها وخالقها وكيف خلقها وخالف بين اشكالها وخصها بهذا القدر المخصوص بحيث لو ازداد فيها واحد كان وبالاً واحتاج الانسان الى قلبه ولو نقص منها واحد لاحتاج الانسان الى جبره فجعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولي الأبصار وآيات بينات على عظمته وجلاله بتقديرها وتصويرها ثم انظر كيف خلق سبحانه آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمية وتسعة وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربية وعشرون منها لحركة العين واجفانها بحيث لو نقصت منها واحدة اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بمدد يخصصه وقدر يوافقها واما امر الاعصاب والعروق والاورد والشرابين ومنابتها وسعتها فاعجب من هذا وشرحه يطول ثم عجائب ما فيه من المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم ثم انظر الى ما شرف به وخص في خلقه بأنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ويستقبل الامور بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل ولم يخلق مكبواً على وجهه كعدت من الحيوانات اذ لو كان كذلك لما استطاع هذه الاعمال ثم انظر من حيث الجملة الى ظاهر هذا الانسان وباطنه فتجدده مصنوعاً بصنعة بحكمة تقضي منها العجب وقد جعل سبحانه اعضاءه تامة بالغذاء والغذاء متوال عليها لكنه تبارك وتعالى قدرها بمقادير لا يتعداها بل يقف عندها ولا يزيد عليها فانها لو تزايدت بتوالي الغذاء عليها لعظمت ابدان بني آدم وثقلت عن الحركة وعطت عن

الصناعات اللطيفة ولا تناوات من الغذاء ما يناسبها ومن اللباس كذلك ومن المساكن مثل ذلك وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه فاذا وجدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء فما ظنك بصننته في ملكوت السموات والارض وشمسها وقرها وكواكبها وما حكته في اقدارها واشكالها واعدادها واوزاعها واجتماع بعضها واقتراق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقتها ومغاربها فلا تظن ان ذرة في السموات والارض وسائر عالم الله ينشأ عن حكم بل ذلك مشتمل على عجائب وحكم لا يحيط بجميعها الا الله سبحانه وتعالى لم تسمع قوله سبحانه وتعالى (الأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) الى آخر ما به به وتأمل لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنفثة سمعاً وبصراً وحياة لم يقدروا على ذلك فانظر كيف خلقها سبحانه في الارحام وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها ورتب عروقها واعصابها ودبر ظاهرها وباطنها وجعل فيها مجرى لغذاءها ليكون ذلك سبباً لبقائها مدة حياتها ثم كيف رتب الاعضاء الباطنة من القاب والكبد والمعدة والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل عضو بشكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص فجعل المعدة لنضج الغذاء عصباً معيناً شديداً لحاجتها وبذلك يمكن تقطيعه وطحنه وجعل طحن الاضراس اولا معيناً للمعدة على جودة طحنه وهضمه وجعل الكبد لاحالة الغذاء الى الدم فيجذب منه الى كل عضو من الغذاء ما يناسبه فغذاء العظم خلاف غذاء اللحم وغذاء العروق خلاف غذاء الاعصاب وغذاء الشعر خلاف غذاء غيره وجعل الطحال والمرارة والكلى لخدمة الكبد فالطحال لجذب السوداء والمرارة لجذب الصفراء

والكفاية المائية عنه والمثانة لقبول الماء عن الكفاية ثم يخرجها في مجرى الأَحليل والعروق والكبد في اتصال الدم منه إلى سائر أطراف البدن وجعل جوهرها اتقن من جوهر اللحم ليصونه ويحصده فهي بمنزلة الظروف والأوعية ثم انظر كيف دبره في الرحم ولطف به الطافاً يطول شرحها ولا يستكمل العلم بجماتها إلا خالقها ويعجز الواصف عن وصف ما وصل إليه نظره من ذلك . فن ذلك جعله فيهما لا يحتاج إلى استدعاء ولا يحتاج المولود إلى ما يبين ذلك لا بوعظ ولا تنبيه بل ذلك في الطباع إلى وقت حاجة المولود إلى الإغاثة في غذائه ولولا ذلك لنبرت الأموات عنه من شدة التعب وكلفة التربية حتى اشتد جسده وقويت أعضاؤه الظاهرة والباطنة لطضم الغذاء فينتد أنبت له الأسنان عند الحاجة إليها لا قبل ذلك ولا بعده ثم انظر كيف خلق الله فيه التمييز والعقل على التدرج إلى حين كماله وبلوغه والنظر وفكر في سر كونه يولد جاهلاً غير ذي عقل وفهم فانه لو كان ولد عاقلاً فيهما لانكر الوجود عند خروجه إليه حتى يبقى حيران تائه العقل إذ رأى ما لا يعرف وورد عليه ما لم يره ولم يعهد مثله ثم كان يجد غضاضه ان يرى نفسه محمولا وهو موضوعاً معصباً بالخرق ومسجماً في المهذ مع كونه لا يستغنى عن هذا كاله رقة بدنه ورداوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الرقة له والحلاوة والمحبة في القلوب ما يوجد للصغير لكثرة اعتراضه بعقله واختياره لنفسه فتبين ان ازدياد العقل والنهم نيه على التدرج أصلح به . أفلا يرى كيف اقام كل شيء من الخلق على غاية الحكمة وطريق الصواب واعلمه تقب الخطأ في دقيقته وجليله ثم انظر فيما اذا اشتد خلق فيه طريقاً وسبباً للتناسل وخلق في وجهه شعراً ليميزه عن شبه الصبيان والنسوان ويجمله ويستتر به غصون وجهه عند شيخوخته وان كانت اشي أبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها هجة ونضارة تحرك الرجال لما في ذلك من بقاء النسل .

فكر الآن فيما ذكرناه ودبره سبحانه في هذه الأحوال المختلفة هل ترى مثل هذا يمكن ان يكون مهملاً أرايت لو لم يجز له الدم غذاء وهو في الرحم ألم يكن يذوي ويهلك ويجف كما يجف النبات اذا انقطع عنه الماء ولو لم يزرع الحماض عند استكماله ألم يكن يهلك ببقائه في الرحم هو وأمه ولو لم يوازه اللبن عند ولادته ألم يكن يموت جوعاً وعطشاً او يغدى بما لا يوافق ولا يصلح عليه بدنه ولو لم يخلق له الاسنان في وقتها ألم يكن يمتنع عليه مضغ الطعام وازدراده وقيم على الرضاع ولا يشتد جسمه ولو لم يخرج له شعر الوجه لبتى في هيئة النساء والصبيان فلأ ترى له هيئة ولا جلالة ولا وقاراً ومن ذا الذي يرصده حتى يوفيه بكل هذه المآرب في وقتها الا الذي أنشأه بعد ان لم يكن شيئاً مذكوراً وتفضل عليه ومن عليه بكل هذه النعم فكر في شهوة الجماع الداعية لآحيائه والآلة الموصلة الى الرحم النطفة والحركة الموجبة لاستخراج النطفة وما في ذلك من التدبير المحكم ثم فكر في جملة اعضاء البدن وتهيئة كل عضو منها للارب الذي اريد منها فالعينان للاهتمام بالنظر واليدان للعلاج والحذف والدفع والرجلان للسعي والمعدة لهضم الطعام والكبد للتخايف والتميز والقم للكلام ودخول الغذاء والمنافذ لدفع الفضلات واذا تأملت كذلك مع سائر ما في الانسان وجدته قد وضع على غاية الحكمة والصواب فكر في وصول الغذاء الى المعدة حتى ينضجه ويبعث صفوه الى الكبد في عروق دقاق قد جمعت كالمصفاة للغذاء ولكيلا يصل الى الكبد منه شيء غايظ خشن فينكؤها فانها خلقت دقيقة لا تحمل الثقل فنقله باذن الله دماً وتنقذ، الى سائر البدن في سائر مهياة لذلك فيصل الى كل شيء من ذلك ما يناسبه من يابس ورخو وغير ذلك فتبارك الله رب العالمين ثم ينقذ ما يكون من خبث وفضول الى معابض وأعضاء اعدت لذلك كما ذكرنا قبل هذا فكونها كالأوعية تحمل هذه

الفضلات لكيلا تنتشر في البدن فتسقمه ثم انظر هل تجد في خلق البدن شيئاً لا معنى له هل خلق البصر الا ليدرك الاشياء والالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها هل كان في الالوان منفعة ولو لم يكن لخلق الابصار نور خارج عن نورها ما كان ينتفع بالبصر وهل خلق السمع الا ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن في الاصوات منفعة وكذلك سائر الحواس . ففكر في أشياء جعلت بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس الا بهامنها الضياء والهواء فلو لم يكن ضياء تظهر نبيه المبصرات لم يدركها البصر ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت . ففكر فيمن عدم البصر والسمع وما يناله من الخلل فانه لا ينظر ان يضع قدمه ولا يدري ما بين يديه ولا يفرق بين الالوان ولا يدري بهجوم آفة او عدو ولا سبيل له ان يتعلم أكثر الصناعات وأما من عدم السمع فانه يفقد روح المخاطبة والمحاوره ويهدم لذة الاصوات المستحسنة والالخان المطربة وتعظم المؤونة على من يخاطبه حتى ينصرم منه ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس واحاديثهم حتى يصير كالغائب وهو شاهد وكالميت وهو حي وأما من عدم العقل فهو أشرم من البهائم فانظر كيف صارت هذه الجوارح وهذه الاوصاف التي بها صلاح الانسان محصلة ومبلغه لجميع مآربه ومتممة لجميع مقاصده واذا فقد شيئاً اختل أمره وعظم مصابه ومن ابلى بفقد شيء منها فهو تأديب وموعظة وتعريف بقدر نعمة الله في حقه وحق امثاله ولينال بصبره على ذلك حظاً في الآخرة فانظر الى رحمة الله كيف توجد في العطاء والمنع ثم فكر في الاعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً وما في ذلك من الحكمة والصواب فالرأس مما خلق فرداً وان كثيراً من الحواس قد حوتها رأس واحدة ولو زاد عليه شيء كان ثقلاً لا يحتاج اليه فان كان قسمين فان تكلم

واحدهما بني الآخر معطلا لا حاجة اليه وان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان  
احدهما فضاة لا يحتاج اليها وان تكلم من احدهما بخلافه ايتكلم به من الآخر  
لم يدرك السامع مراده من ذلك واما الذي يأخذه السامع هو ما كان واضحا واليدان  
خلتا ازواجاً ولم يكن للانسان خير في ان يكون يلم بيد واحدة لا اختلال  
ما يدالجه من الامور فانك ترى من شلت احدي يديه ما يكون عنده من النقص  
وان يكاف بشيء لم يحكمه ولا يبلغ ما يبلغ صاحب اليدين وحكمة الرجاءين ظاهرة  
فكر في تهئية آلات الصوت فالخنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان  
والشفنتان والاسنان لاصاغة الحروف والهم الا ترى ان من سقطت اسنانه  
أو أكثرها كيف يحصل الخلل في كلامه ثم انظر الى ما في الخنجرة من المنفعة  
لسلوك النسيم منها الى الرئة فتروح على الزوائد بهذا النفس المتتابع وما في اللسان  
من تقليب الطعام واعاثة على تسريع الطعام والشراب وما في الاسنان من  
المعونة ايضاً ثم هي كالسند للشفتين تمسكهما وتدعهما من داخل الفم وبالشفنتين  
يرتشف الشراب حتى يكون ما يدخله الى الجوف بقصد وبقدر ما يختاره  
الانسان ثم هما على الفم كالباب فقد تين ان كل عضو من هذه الاعضاء  
ينصرف الى وجوده من المآرب وضروب من المصالح ان زاد افسد وان نقص  
افسد فذلك تقدير العزيز العليم فكر في الدماغ اذا كشف عنه فانك تجده  
قد لف بعضه فوق بمض ليصونه من الاعراض واطبقت عليه الجمجمة والشعر  
ستر لها وجمال وايبعد عنها ما يؤذيها من حر وبرد وغير ذلك نحصن  
سبحانه وتعالى الدماغ هذا التحصين لعلمه بأنه مهم وانه مستحق لذلك لكونه  
ينبوع الحس ثم انظر كيف غيب الزوائد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي  
هي غشاؤه واتقنها وحصنها بالجرائح وما عليها من اللحم والعصب لشرفه وان  
ذلك اللائق به . ثم انظر كيف جعل في الخلق منفذين احدهما للصوت وهو

الحلقوم الواصل الى الرئة والآ خر للغذاء وهو المرى الواصل الى الممددة وجعل على الحلقوم طبقة يمنع الطعام ان يصل اليه ثم جعل الرئة مروحة للفتو اذ لا تفتز ولا تخل تأخذ وتردّ بغير كلنة لئلا تنحصر الحرارة في القاب فتؤدي الى التلف ثم ملأ الجوّ هواء لهذه المصاحجة ولغيرها ثم انظر كيف جعل منافذ البول والغائط اسراحا يضبطها لكي لا يجري جرياناً دائماً فينسد على الانسان عيشته ثم انظر كيف جعل لحم الفخذين كثيراً كشيئاً ليقى الانسان من الم الجلوس على الارض كما يألم من الجلوس من نحل جسمه وقلّ لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل . انظر لو كان ذكر الرجل مسترخياً ابداً كيف يصل الماء الى موضع الخلق (١) ولو كان منعظاً ابداً كيف يكون حاله في تصرفاته وهو كذلك بل جعله مستوراً كأنه لم تخلق له شهوة ثم انظر اليس انه من حسن التدبير في البناء ان يكون الخلاء في استر موضع في الدار فلهذا اتخذ المنفذ المهيأ لقضاء حاجة الانسان في استر موضع من جسده مغيب فيه تلتقى عليه فخذهما بما عليهما من اللحم فتواريه به ويخفي ذكره وذلك مخصوص بالانسان لشرفه ثم انظر في خلق الشعر والاذفار لما كانا يطولان وفي تقصيرهما مصاحجة جعلاً عديمي الحس حتى لا ينال الانسان الم عند التزيين بقصهما ولولا هذه الحكمة لكان بين صرين اما ان يدعها على حالهما فيتشوه خلقه او يزيل ذلك فيتألم بازالته . ثم تفكر في الشعور لو نبتت في العين لأعمت البصر او في النعم لنعست الأكل والشرب او في راحة الكف لنفدت لذة اللمس ولبعض الاعمال او في الفرج لكدرت لذة الجماع مع قبول هذه المواضع لنباتها فيها فسبحان المدبر المنعم بهذه النعم فانظر كيف قصد بهذا الخلق طريق الصواب وتجنب الخطاء والضرر ثم فيما جبل عليه الانسان من الاحتياج الى

المطعم والنوم والجماع وما في ذلك من التدبير المحكم فقد جعل في طبعه محرك يقتضيه ويستحثه فالجوع والعطش يقتضي طلب الطعام الذي به حياته وكذلك الشراب الذي به قوامه والنوم فيه راحة البدن وعموم القوى والشبق يقتضي الجماع الذي به دوام النسل وبقاؤه فلو كان الانسان انما يتناول الطعام والشراب لمعرفته بالحاجة اليه ولم يجد من طباعه ما يلجئه اليه لاشتغل باسباب ضرورته فتنحل قواه ويهلك كما انه قد يحتاج الى دواء يكرهه وفيه صلاحه وليس في جبايته داعية له فيدافع عن تناوله فيمرض أو يموت فكذلك لو كان يفعل النوم ويدخله على جسمه باختياره لتشاغل عنه ببعض مهماته فيهلك جسمه بالتعب والنصب وكذلك لو كان اقدامه على الجماع انما هو لرغبة حصول الولد لا تقطع النسل لما يارضيه من الاسباب المشغلة فانظر كيف جعل فيه بالطبع ما يضطره الى حصول هذه الفوائد . انظر كيف رتبت هذه القوى بهذا الترتيب المحكم العجيب فصار البدن بما فيه بمنزلة دار للملك فيها حشم وقوم موكلون بالدار فواحد لامضاء حوائج الحشم وايراد ماء لهم وآخر لقبض ما يرد وخرنه الى ان يعالج ويهيباً وآخر لاصلاح ذلك وتهيئته واصلاحه اخص مما قبل وآخر لكسح ما في الدار من الاقدار واخراجه فالملك في هذا المثل هو الخالق العليم سبحانه والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء والقوم في هذه القوى الاربعة التي هي النفس وموقعها من الانسان بمعنى الفكر والوهم والعقل والخنظ والغضب وغير ذلك ارايت لو نقص من الانسان من هذه الصنات الخنظ وحده كيف كان يكون حاله وكان لا يحنظ ماله وما عليه وما اصدر وما اورد وما اعطى وما اخذ وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من احسن اليه ولا من اساء له ولا من نفعه ممن ضره وكان لا يمتدي لطريق ولو سلكه ولا لعلم ولو درسه ولا ينتفع بتحريره ولا يستطيع ان يعتبر

بمن مضى فانظر الى هذه النعم كيف موقع الواحدة منها فكيف جميعها واعجب  
 من نعمة الحفظ نعمة النسيان فلو لا النسيان ما سلا الانسان عن مصيبة فكان  
 لا ينقص له حسرة ولا يذهب عنه حقد ولا يستمتع بشيء من لذات الشهوات  
 الدنيوية مع تذكر الآفات والفجائع المغضبات وكان لا يمكن ان يتوقع غفلة  
 من ظالم ولا فقرة ولا ذهولا من حاسد أو قاصد مضره فانظر كيف جعل  
 الله فيه سبحانه الحفظ والنسيان وهما متضادان وجعل للانسان في كل منهما  
 ضرورا من المصالح ثم انذر الى ما خصه به دون غيره من الحيوان من الحياء  
 فلو لاه لم تقل العثرات ولم تقض الحاجات ولم يقهر الضيف ولم يثمر الجليل  
 فيفعل ولا يتجافى عن القبيح فيترك حتى ان كثيرا من الامور الواجبة انما  
 تفعل لسبب الحياء من الناس فتزد الامانات وتراعى حقوق الوالدين وغيرها  
 ويعف عن فعل الفواحش الى غير ذلك من أجل الحياء فانظر ما اعظم موقع  
 هذه النعمة في هذه الصفة وانظر ما أنعم الله به من النطق الذي يميز به عنه  
 البهائم فيعبر بما في ضميره ويفهم عن غيره ما في نفسه وكذلك نعمة الكتابة  
 التي تفيد أخبار الماضين للباقيين وأخبار الباقيين للآتين وبها تخلد في الكتب  
 العلوم والآداب ويعلم الناس ذكر ما يجري بينهم في الحساب والمعاملات  
 ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست العلوم  
 وضاعت الفضائل والآداب وعظم الخلل الداخل على الناس في أمورهم بسبب  
 عدمها فان قلت ان الكلام والكتابة مكتسبة للانسان وليست بأمر طبيعي  
 ولذلك تختلف الخطوط بين عربي وهندي ورومي الى غير ذلك وكذلك  
 الكلام هو شيء يصطاح عليه فذلك اختلف قلنا ما به تحصل الكتابة من اليد  
 والاصابع والكف المهيأ للكتابة والذهن والفكر الذي يهتدي به ليس بفعل  
 الانسان ولولا ذلك لم يكن يكتب ابدا ف سبحان المنعم عليه بذلك وكذلك

لولا اللسان والنطق الطبيعي فيه والدهن المركب فيه لم يكن ايتكام ابدا فسبحان المنعم عليه بذلك ثم النظر الى حكمة الغضب المخلوق فيه يدفع عن نفسه به ما يؤذيها وما خلق فيه من الحسد فيه يسعى في جلب ما ينتفع به غير انه مأمور بالاعتدال في هذين الامرين فان جاوز الحد فيهما التحق برتبة الشياطين بل يجب ان يقتصر في حالة الغضب على دفع الضرر وفي الحسد على الغبطة وهي ارادة ما ينفعه من غير مضرة تلحق غيره ثم انظر ما أعطى وما منع مما فيه أيضا صلاحه فمن ذلك الامل فبسببه تعمر الدنيا ويدوم النسل ليرث الضعفاء عن الاقوياء منافع العماره فان اخلق أول ما يخلق ضعيف فلولا انه يجد آثار قوم أحلوا وعمروا لم يكن له محل يأوي اليه ولا آله ينتفع بها فكان الامل سببا لعمل الحاضرين ما يقع به انتفاع الآتين وهكذا يتوارث الى يوم الدين ومنع الانسان من علم أجله ومبلغ عمره لمصلحة فانه لو علم مدة حياته وكانت قصيرة لم تهن الحياة ولم ينشرح لوجود نسل ولا للمارة أرض ولا لغير ذلك ولو علمها وكانت طويلة لانهمك في الشهوات وتعدى الحدود واقتحم المهلكات ولعجز الوعاظ عن ايقافه وزجره عن ما يؤديه الى اتلافه فكان في جهله بمدة عمره مصلحة حصول الخوف بتوقع هجوم الموت ومبادرة صالح الاعمال قبل القوات ثم النظر الى ما ينتفع به مما فيه مصلحة وملاذه عن اصناف الاطعمة على اختلاف طعومها واصناف القواكه مع اختلاف الوانها وبهجتها واصناف المراكب ليركبها ويحصل منافعها وطيور يلتذ بسماعها ونقود وجواهر يقننها ويصل بها الى اغراضه ويجهدها في مهماته وعقاقير يستعملها لحفظ صحته وبهائم لما كله ولغير ذلك من أموره من حرث وحمل وغير ذلك وازهار وغيرها من العطريات يتنعم بروائحها وينتفع بها واصناف من الملابس على اختلاف اجناسها وكل ذلك ثمره ما خلق فيه من

العقل والفهم فانظر ما ذار كِب الله فيه من العجائب ومن الحكمة البالغة  
 اختلاف العباد في تملك ما ينتفع به بنو آدم لتمييز منهم الفقير من الغني  
 فيكون ذلك سبباً لعمارة هذه الدار ويشتغل الناس بسبب ذلك عما يضرهم في  
 غالب الاحوال فثالم فيما اشتغلوا به مثال الصبي فانه يشتغل لتقص عقله فيما  
 يضر به نفسه ولا يتدبر فيكون فراغه وبالا عليه وكم عسى ان يعد العاد من  
 الحكم واللطائف التي يقصد بها قوام العالم وعبادته الى الاجل المعلوم وهي مما  
 لا تدخل تحت حد ولا يحصرها عدد ولا يعلم منتهى حقائقها واحصاء جملتها  
 الا الحكيم العليم الذي وسعت رحمته وعلمه كل شيء وأحصى كل شيء عدداً  
 ﴿ خاتمة لهذا الباب ﴾

اعلم ان الباري سبحانه وتعالى شرف هذا الآدمي وكرمه فقال سبحانه  
 (ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على  
 كثير ممن خلقنا تفضيلاً) فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذي تنبه  
 به على البهجة والحقه بسببه بعالم الملائكة حتى تأهل به لمعرفة باريه ومبدعه  
 بالنظر في مخلوقاته واستدلاله على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من  
 حكمة وأمانة قال الله العظيم (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فكان نظره في نفسه  
 وفيما أودع الباري سبحانه فيه من العقل الذي يقطع بوجوده فيه ويعجز عن  
 وصفه من أعظم الدلالات عنده على وجود باريه ومدبره وخالقه ومصوره  
 فانه ينظر في العقل كيف فيه التدبير وفنون العلم ومستقر المعرفة وبصائر  
 الحكمة والتمييز بين النفع والضر وهو مع القطع بوجوده لا يرى له شخصاً ولا  
 يسمع له حساً ولا يجس له مجساً ولا يشم له ريحاً ولا يدرك له صورة ولا طعماً  
 وهو مع ذلك أمر ومطاع زيادة وراج ومفكر ومشاهد الغيوب ومتوهم  
 للامور اتسع له ما ضاق عن الابصار ووسع له ما ضاقت عنه الاوعية يؤمن بما

غيبته حجب الله سبحانه مما بين سمواته وما فوقها وأرضه وما تحتهما حتى كأنه شاهده ابين من رأي العين فهو موضع الحكمة ومعدن العلم كلما ازداد علما ازداد سعة وقوة يأمر الجوارح بالتحرك فلا يكادان يميز بين المهمة بالحركة وبين التحرك بسرعة الطاعة أيهما سبق وإن كانت المهمة قبل وهو مع تدبيره وعلمه وحكمته عاجز عن معرفة نفسه إذ لا يمكنه أن يصف نفسه بنفسه بصنعة وهيأة أكثر من الاقرار بأنه مسلم للذي وصفه للعلم به وهو متر بالجهل بنفسه وهو مع جهله بنفسه عالم حكيم يميز بين لطائف التدبير ويفرق بين دقائق الصنع وتجري الأمور وقد تدبرها وتوهمها واقب ويمثلها ويبدل على الأمور على اختلافها فدل جهله بنفسه وعلمه بتدبيره ويميز أنه صر ك م صنوع م صور م دبر م متو و ر ل لأنه مع حكمته واتقاد بصيرته عاجز م يمين يريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينساه فيذكره ويريد أن يسر فيجزن ويريد أن يغفل فيذكر ويريد أن يتنبه ويتيقظ فيسهو ويغفل دلالة على أنه مغلوب متموور وهو مع ما علم جاهل بمقائق ما علم ومع ما دبر لا يدري كم مدا مبلغ صوته ولا كيف خروجه ولا كيف اتساق حروف كلامه ولا كم مدا مبلغ نذاره ولا كيف ركب نوره ولا كيف ادرك الاشخاص ولا كم قدر قوته ولا كيف تركبت ارادته وهيمته فاستدل بعلمه وجعده عن حقيقة ما علم أنه مصنوع بصنعة متقنة وحكمة بالغة تدل على الصانع الخالق المزيد العليم عز وجل ثم انه خلق في الانسان الهوى موافقا لطباعه فان استعمل نور العقل فيما امر به ورد مورد السلامة وفاز غدا بدار الكرامة وان استعمله في اغراض نفسه وهواها حجب عن معرفة أمور لا يدركها غيره مع ما هو متوقع له في الدار الآخرة من الثواب والحجاب والعقاب هو الآلة له في عمل الصنائع وتقديرها على نحو ما قدرها ودبرها في ذهنه وتخليه واستنباط ما يستنبط بدقيق الفكر ومعرفة مكارم الاخلاق الموجودة في كل امة

زمان واستحسان ما يحسن في عوائد العقلاء والفضلاء وتقبيح ما يقبح عندهم  
 بحكم الاعتياد . فالنظر ما شرف هذا الانسان ان خلق فيه ما يزيد هذه المعارف  
 فان الاواني تشرف بشرف ما يوضع فيها ولما كانت قلوب البادهي محل للمعرفة  
 بالله سبحانه شرفت بذلك ولما سبق في علم الباري سبحانه و ارادته وحكمة  
 بمصير الخلق الى دار غير هذه الدار ولم يجعل في قوة عقولهم ما يطأون به  
 على احكام تلك الدار بل كل لهم سبحانه هذا النور الذي وهبهم اياه بنور الرسالة اليهم  
 فارسل الانبياء صلوات الله عليهم مبشرين لاهل طائفة ومنذرين لاهل  
 معصيته فقدم بالوحي وهياهم لقبوله وتلقيه فكانت انوار ما جاء به بالوحي  
 من عند الله بالنسبة الى نور العقل كالشمس بالاضافة الى نور النجم فداروا العباد  
 على مصالح دنياهم فيما لا تستقل بادراكه عقولهم وأرشدتهم الى مصالح اخراهم  
 التي لا سبيل للعباد ان يعرفوها الا بواسطةهم وأظروا لهم سبحانه من الدلائل  
 على صدق ما جاؤا به ما اوجب الازعان والانتقاد لصدق اخبارهم تمت  
 بذلك نعمة الله على عباده وظهرت كرامته وثبتت حجته عليهم . فالنظر ما  
 أشرف الآدمي ونسله الذين ظهرت منه هؤلاء الفضلاء الذين هم قابلون  
 هذه الزيادات الفاضلة ثم تضافرت انوار الشرائع التي هي كالشمس وأنوار  
 العقول التي هي كالنجم فتمت سعادة من سبق له من الله الحسنى  
 وشقاوة من كذب ولم يرد الا الحياة الدنيا ثم ان الله تبارك وتعالى من على  
 الانسان بان خصه برؤيا يراها في منامه أو في عينه كشبه المنام يثل له فيها  
 بأمثلة معهودة من جنس ما يعرفه وهي مبشرة أو منذرة له لما يتوقه بين  
 يديه كل ذلك مواهب وكرامات من جود الله سبحانه وجعل الله استقامته  
 على الطاعة في قلبه وجوارحه سببا لصدقها في غالب الامر ليتعظ او يقدم  
 على الامور أو يحجم عنها وهي الامور التي انفرد الله بعلم العاقبة فيها واضلع

على بعض الامور منها من شاء

### ﴿ باب في حكمة خلق الطير ﴾

قال الله سبحانه وتعالى ألم تروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ( اعلم رحمك الله ان الله تعالى خلق الطير واحكمه حكمة تقتضي الخفة للطيران ولم يخلق فيه ما يثقله وخلق فيه ما يحتاج اليه وما فيه قوامه وصرف غذاه فقسّم لكل عضو منه ما يناسبه فان كان رخواً أو يابساً أو بين ذلك انصرف الى كل عضو من غذائه ما هو لائق به فخلق للطير الرجلين دون اليدين لضرورة مشيه وتنقله واعانة له في ارتفاعه عن الارض وقت طيرانه واسعة الاسفل ليثبت في موطن على الارض وهي خف فيه أو بعض اصابع مخلوقة من جلد رقيق صلب من نسبة جلد ساقيه وجعل جلد ساقيه غليظاً متيناً جداً ليستغنى به عن الريش في الحر والبرد وكان من الحكمة خلقه على هذه الصفة لانه في رعيه وطاب قوته لا يستغنى عن مواضع فيها الطين والماء فلو كسيت ساقاه بريش لتضرر ببلاه وتلويشه فاغناه سبحانه عن الريش في مواضع لا يلبق به حتى يكون مخصصاً للطيران وما خلق من الطير ذا ارجل طوال جعلت رقبته طويلة لينال غذاءه من غير حرج بها اذ لو طالت رجلاه وقصر عنقه لم يمكنه الرعي لافي البراري ولا في البحائر حتى ينكب على صدره وكثير ما يعان بطوا، المنقار أيضاً مع طول العنق ليزداد مطالبه عليه سهولة ولو طال عنقه وقصرت رجلاه اثقله عنقه واختل رعيه وخلق صدره ودائره ملفوفاً مريباً على عظم كهيئة نصف دائرة حتى يخرق في الهواء بغير كلفة وكذلك رؤس اجنحته مدورة اعانة له على الطيران وجعل لكل جنس من الطير منقاراً يناسب رعيه ويصلح لما يغتذي به من تقطيع ولقط وحفر وغير ذلك فمنه مخلب للتقطيع خص به الكواثر وما قوته اللحم ومنه عرض مشرشر

جوانبه تنطبق على ما يلتقطه انطباقاً محكماً ومنه معتدل اللقط وآكل الحضر  
ومنه طويل المنقار للحصر وجعله صلباً شديداً شبه العظم وفيه ليونة ماهي في العظم  
لكثرة الحاجة الى استعماله وهو مقام الاسنان في غير الطير من الحيوان وقوى  
سبحانه أصل الريش وجعله قصباً منسوباً فيما يناسبه من الجلد الصلب في  
الاجنحة لاجل كثرة الطيران ولان حركة الطيران قوية فهو محتاج الى الاتقان  
لاجل الريش وجعل ريشه وقاية مما يضره من حراو برد ومعوثة متخللة  
الهواء للطيران وخص الاجنحة بأقوى الريش وأثبتته واتقنه لكثرة دعاء  
الحاجة اليه وجعل في سائر بدنه ريشاً غيره كسوة ووقاية وجماله وثبت  
اصل جميعه لانه جبيرته وجمله وجعل في ريشه من الحكمة ان البلل لا يفسده  
والادرن لا تؤسخره فان اصابه ماء كان أيسر انتفاض يطرد عنه بلله فيعود الى  
خفته وجعل له منفذا واحداً للولادة وخروج فضلاته لاجل خفته وخلق  
ريش ذنبه معونة له على استقامته في طيرانه فلولا له لما مالت به الاجنحة  
في حال الطيران يمينا وشمالا فكان له بمنزلة رجل السفينة الذي يعدل بها سيرها  
وخلق في طباعه الحذر وقاية لسلامته ولما كان طعامه يتلعه بلعا بلا مضغ  
جعل لبعضه منقاراً صلباً يقطع به اللحم ويقوم له مقام ما يقطع بالمدينة وصار  
يزرد ما يأكله صحيحاً واعين بفضل حرارة في جوفه تطحن الطعام طحناً  
يستغنى به عن المضغ وثقل الاسنان واعتبر ذلك بحب العنب وغيره فانه يخرج  
من بطون الحيوان صحيحاً وينسحق في اجواف الطير ثم انه خلقه يبيض ولا  
يلد لئلا يشقى عن الطيران فانه لو خلقت فراخه في جوفه حتى يكمل  
خلقها لثقل بها وتعوق عن النهوض للطيران . أفلا ترى كيف دبر كل شئ من  
خلقه مما يليق به من الحكمة انظر الى من أنزله والهمة الرقاد على بيضه  
فيحضنه مدة الحضانة من الهمة ان يلتقط الحب فاذا ماع في باطنه غدى به

افراخه وهذا نوع من الطير ثم انظر هذا كيف احتمل هذه المشقة وايست له روية ولا فكر في عاقبة ولا له امل يأمله في افراخه كما يأمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهل هذا قطعا الا الهام آلهى من فعل الله سبحانه انظر كيف الهام معرفة حمل الانثى منه بالبيض فاهلوا حينئذ حمل الحشيش وتوطئته في موضع التحضين والولادة لتكون الرطوبة والتوطئة تحفظ البيض ويكون البيض محفوظا في المهاد الذي يهدونه ويستحسنونه في حال تحضينه انظر الى الحمام كيف الهام معرفة كمال الترخ وانتهاء تحضينه لبيض حتى يكشف عن الترخ ويخرجه وان اتفق في البيض فساد بسبب عرق قام وتركه ثم انظر الهامه بما يزرع به فرخه فانه اولا يزرعه بالريح لتستعد حوصلته لقبول ما يوضع فيها ثم بعد ذلك يزرعه من اول هضم ثم اذا ماع الغذاء في حوصلته يزرعه به حتى يدرجه يفعل مرارا حتى يولى حوصلته فانه لو ارسله اليه حبا صبيحا لعجز عن هضمه لضعف جسده فانظر ان كان هذا من فعل الطير وحكمته ثم انظر عند خروج الترخ من البيضة كيف يسنده الى جنبه لتلا يفقد الحرارة دفعة واحدة فيضر ذلك به ومن الطير من ما يخلق على هيئة أنرى لحكمة أنرى وتعلم ان قدرة الله لا تنحصر في نوع واحد بل كل حال له حكم يقوم بمصلحة ذلك الشيء وذلك ان الدجاج ما فيهم اهلية الزق بل جمات فراخهم يلتقطون غذاهم عند خروجهم من البيضة ثم انظر في الحمام الذكر والانثى كيف يتداولان على التسخين خوف ان يفسد بيضهم فيعقب هذا صاحبه كأن لهم علما بان عدم هذا التدبير يفسد به بيضهم ثم انظر الى خلق البيضة وما فيها من الحكم لله فيها الملح الاصغر الحابر والماء الابيض الرقيق فبعضه لينشأ منه جسده وبعضه يغتذي به الى ان تنشق عنه وما في ذلك من التدبير من المحكم العجيب وكيف جعل معه غذاه في بيضة مغلقة تأتي به الى حين كماله فيها وخروجه منها ثم انظر في

حوصلة الطائر وما في حلقة من التدبير فان مسلك طعامه الى القانصة ضيق لا ينفذ اليه الا قليلا قليلا فلو كان لا يلتقط حبة حتى تصل الاولى الى القانصة لطلال الامر عليه مع ما فيه من شدة الحذر وتجنبه ما يؤذيه فصار ما يحتكره احتراسا لشدة حذره فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليودع فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثم ينفذه الى القانصة على مهول وفيها حكمة أخرى فان الطير الذي يزرق أفراخه يكون رده الطعام من قرب أسهل عليه ثم تأمل ريش الطائر فانك تجده منسوجا نسج الثوب من سلوك رفاق وفيها من اليس ما يمسك ما حولها ومن اللين ما لا ينكسر معه وهي خاوية قد الف بعضها الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعر الى الشعر ثم تجده اذا فتخته أعنى النسيج يفتح قليلا ولا ينشق ليدخله الريح نثقله عن طيرانه وتجد في وسط الريشة عمودا غليظا يلبسا مثبتا قد نسج عليه كثيئة الشعر ليمسكه بصلابته فلو عدم ذلك وعرضت الريشة دونه لفسخها ما يقابلها من الهواء وهي مع صلابته مجوفة ليخف عليه طيرانه أنظر الى الطائر الطويل الساقين والحكمة في طولهما انه يرعى أكثر رعيه في صحصح كأنه فوقه مراقب يتأمل ما يدب في الماء فاذا رأى شيئا من حاجة خطأ خطوا رفية حتى يتناوله فلو كان قصير الساقين لكان حين يخطو الى الصيد يصل بطنه الى الماء فيمزقه فيذعر منه الصيد فيبعد عنه . أنظر الى العصائير وغيرها فانها تطلب رزقها في طول نهارها فلا هي تفقده ولا هي تجده مجموعا محله وهو امر جار على سنة الله في خلقه فان صلاحهم في السعي في طلب الرزق فان الطير لو وجدته ميسرا اكب عليه ولا يقلع عنه حتى يمتلي فيثقل عن الطيران ولا يستطيع رده أعنى قذفه من بطنه مثل طير الماء الكبير فانه يأكل السمك فاذا امتلأ منه وأزعجه مزعج تقيأه حتى يخف للطيران وكذلك الناس أيضا لو وجدوه بلا

سعي لتفرغوا فراغا يوقعهم في غاية الفساد أنظر الى هذه الاصناف من الطير التي لا تخرج الا ليلا مثل البوم والمام والخفاش فان عيشها يتيسر في الجو وكالبعوض والقراش وشبهه فانها منبثة في هذا الجو فجعل عيشه في موضع أقرب اليه من الارض ولعل نوره لا يعينه ان ياتقط من الارض بدليل انه لا يظهر في نور الشمس الا مخفياً فلهم ان يعيش في الجو من القراش وغيره أنظر الى الخفاش لما خلق بغير ريش كيف خلق له ما يقوم مقامه وجعل له فم وأسنان وكل مافي البهائم الارضية من الولادة وغيرها وأقدره على الطيران فاظهر سبحانه فيه ان قدرته على الطيران لا تقتصر على ما خلق له الريش ولا تنحصر في نوع واحد لانه خلق هذا النوع وخلق من السمك جنسا يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل الماء فسبحان القاضي العليم أنظر الى الذكر والاثني من الحمام كيف يتعاونان على الحضانة فاذا احتاج أحدهما الى قوته ناب الآخر الى آخر وقت الحضانة ثم ألهمهما الحرص على الحضانة فلا يطيلان الغيبة على البيض اذا خرجا لليل القوت حتى انهما يجتمع في أجوافهما البراز للحرص على الرقاد فاذا اضطر خروج البراز أخرجه دفعة واحدة ثم أنظر الى حرص الذكر حين تحمل الاثني بالبيض ويقرب أوان وضعها كيف يطردها وينقرها ولا يدعها تستقر خارجا عن الوكر خشية ان تضع البيض في غير الموضع المهيأ لوضعه أنظر كيف يزق أفراخه ويعطف عليها مادامت محتاجة الى الزق حتى اذا كبرت واشتدت ولقطت واستغنت عن أبويها صارت اذا تعرضت له لئيل ما اعتادت ضربها وصر فيها عن نفسه واشتغل بغيرها ثم أنظر ما خلق الله تعالى في الكوسر من شدة الطيران حتى لا يسبق له من يطالبه ومن قوة الخلب وحدته في المنقار والاذن فكان مخلبها مدية للقطع وكأن مخلب ارجلها خطاطيف يعلق فيها اللحم حتى يصل ما يحتاجه من قوتها أنظر الى طير الماء

لما جعل قوته في الماء كيف جعل فيه قوة السباحة والنفطس ليأخذ من جوف الماء رزقه فجعل سبحانه وتعالى لكل صنف من الطيور ما يليق به في تحصيل قوته

### ○ باب في حكمة خلق البهائم ○

قال الله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) اعلم وفقك الله وايانا ان الله خلق البهائم لمنافع العباد امتنانا عليهم كما نهت على ذلك هذه الآية فخلقها الله باجم مثبت على عظام صلبة تمسكه وعصب شديد وعروق شداد وضم بعضها الى بعض ولم يجعلها لينة رخوة ولا صلبة كصلاية الحجارة وجعل ذلك تجلدا اشتمل على ابدانها كلها لتضبطها وتثقلها لانها اريد منها القوة للعمل والحمل ثم خلقها سبحانه سميعة بصيرة ليلبغ الانسان حاجته لانها لو كانت عمياء صماء لم ينتفع بها الانسان ولا وصل بها الى شيء من مآربه ثم منعت العقل والذهن حكمة من الله لتدل للانسان فلا تمتنع عليه اذا اكدتها عند حاجته الى اكدادها في الطحن وحمل الاثقال عليها الى ذير ذلك وقد علم الله ان بالناس حاجة الى اعمالها وهم لا يطيقون اعمالها ولا يقدرون عليها ولو كلف العباد القيام بأعمالها لاجهدهم ذلك واستفرغ قواهم فلا يبقى فيهم فضيلة لعمل شيء من الصناعات والمهن التي يحرصون بها وما وخالقتهم قبلة لها ولا غني لهم عنها وتحصيل الفضائل من العلوم والآداب ولو كان ذلك مع اتعابه لا بدانهم يضيق عليهم مآلشهم فكان تضاد على هذا وتسخير هالهم من النعم العظيمة أنظر في خلق اصناف من الحيوان وتبيينها المافية صلاح كل صنف منها فبنوا آدم لما قدروا ان يكونوا ذوي علاج للصناعات واكتساب العلوم وسائر الفضائل ولا غني لهم عن البناء والحياكة والتجارة وغير ذلك خلقت لهم العقول والاذهان والفكر وخلقت لهم الاكف ذوات الاصابع ليتمكنوا من القبض

على الاشياء ومحاولات الصناعات. وآكلات اللحم لما قدر ان يكون عيشها من الصيد ولا تصلح لغيره خلقت لها مخالب وسرعة نهضة وانياب. وآكلات النبات لما قدر ان تكون غير ذات صنعة ولا صيد خلقت لبعضها اذلاف كنفها خشونة الارض اذا جالت في طلب المرعى ولبعضها حوافر مستديرة ذات قعر كاخمص القدمين لتنطبق على الارض وتتهيأ للحمل والركوب. تأمل التدبير في خاق آكلات اللحم من الحيوان كيف خلقت ذوات اسنان حداد وتراس شداد وافواه واسعة وأعينت بسلاح وأدوات تنال بذلك ما تطالبه فان ذلك كله صالح للصيد فلو كانت البهائم التي عيشها النبات ذوات مخالب وانياب كانت قد اعطيت ما لا تحتاج اليه لانها لا تصطاد ولا تأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات اذلاف كانت قد منعت ما تحتاج اليه من السلاح الذي به تصطاد فانظر كيف أعطى سبحانه كل واحد من اصناف الحيوان ما يشا كله وما فيه صلاحه وحياته انظر الى اولاد ذوات الاربع كيف تجدها تتبع الاميزات مستقلة بنفسها لا تحتاج الى تربية وحمل كما تحتاج الآدميون اذ لم يجعل في أمياتها ما جعل في أميات البشر من العقل والعلم والرفق في احوال التربية والتوقر عليها بالذكور والاكف والاصابع المهيأة لذلك ولغيره فذلك اعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها ولذلك ترى فراخ بعض الطير مثل الدجاج والدراج يدرج ويلقط عقيب خروجها من البيضة وما كان منها ضعيفاً بالنهوض له مثل فراخ الحمام واليمام جعل في الاموات عطف عليها فصار توعى الطعام في حواصلها ثم تنجس في افواه فراخها ولا يزال كذلك حتى ينهض وتستقل فكل أعطى من اللطف والحكمة بقسط فسبحان المدبر الحكيم. انظر الى قوائم الحيوان كيف ينتقل ازواجاً لتتبعها لا تمشى فلو كانت افراداً لم تصلح لذلك لان المائي منها ينتقل منها بعضه ويعينه على مشيه اعتماده على ما لم ينتقل منها

فدو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الأخرى وذو الأربع ينقل اثنتين  
ويتمدد على اثنتين وذلك من خلاف لانه لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه  
ويتمدد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض كالسير ولو  
كان يرفع يديه ويتبعها برجليه لفسد مشيه فجعل ينقل اليمنى من مقدمه على  
اليسرى من مؤخره ويتمدد الآخر بين من خلاف أيضا فثبتت على الأرض  
ولا تسقط اذا مشي لسرعة التحاقهما فيما بين المشي والاعتماد أمتري الحمار ينزل  
للحمولة والطحن والنرس مردعا منها والبعير لا تطيقه عدة رجال لو استعصى  
وينقاد لصبي صغير والثور الشديد يدعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه  
ليستهجرته والفرس تركب ويحمل عليها السيوف والاسنة في الحروب وقاية  
لراكيها والقطيع من الغنم يرعاها صبي واحد فلو تفرقت فأخذت كل شاة  
منها جوة لتنورها لتعذرت رعايتها وربما أعجزت طالبها وكذلك جميع الحيوان  
المسخر للانسان وما ذلك الا لانها عدمت العقل والتروي فكان ذلك سببا  
لتذليلها فلم تلتو على أحد من الناس وان أكدها في كثير من الاحوال  
وكذلك السباع لو كانت ذوات عقل وروية لتواردت على الناس وأنكتم  
نكاية شديدة عظيمة ولعسر زجرها ودفعها ولا سيما اذا اشتدت حاجتها  
في طلب قوتها ويشدد خلها ألا ترى كيف اذا أحجمت عن الخلق وصارت  
في أماكنها خائفة تهاب مساكن الناس وتحجم عنها حتى صارت لا تظن ولا  
تنبعث في طلب قوتها في غالب أحوالها الا ليلا فجعلنا مع شدة قوتها وعظم  
غذائها كالحائفة من الانس بل هي ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم في منازلهم  
وضيقت عليهم في مساكنهم ألا ترى الكلب وهو من بعض السباع كيف  
سخر في حراسة منزل صاحبه حتى صار يبذل نفسه ويترك نومه حتى لا يصل  
الى صاحبه ما يؤذيه ثم انه أعان صاحبه بقوة صوته حتى يتنبه من نومه فيدفع عن

نفسه ويألفه حتى يصبر معه على الجوع والمعش والموان والحفاء فطبع على هذه الخلال لمنفعة الانسان في الحراسة والاصطياد ولما جعله الباري سبحانه حارساً أمدده بسلاح وهي الانياب والاذفار واللثة القوي ليدعربه السارق والمريب وليجنب المواضع التي يحميها ثم انظر كيف جعل ظفر الدابة سطحاً مثبتاً على قوائم اربع لتمهيد الركوب والحمولة وجعل فرجها بارزاً من ورثها ليتمكن الفحل من ضربها اذ لو كان أسفل باطنها كالأدي لم يتمكن الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع ان يأتها كما يأتي الرجل المرأة فتأمل هذه الحكمة والتدبير ولما كان فرج الذئبة تحت بطنها فاذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز الفحل حتى يتمكن من اتيانها فلما لم يخلق في الموضع المخلوق في الانعام والبهائم خلقت فيه هذه الصفة ليقوم الامر الذي به دوام التناسل وذلك من عظيم العبر نعم انظر كيف كسيت أجساد البهائم الشعر والوبر ليقبها ذلك الحر والبرد وغيره من الآفات وحمت قوائمها على الإخلاف والحوافر ليقبها ذلك من الحفا وما كان منها بغير ذلك جعلت له أخفاف تقوم مقام الحافر في غيره ولما كانت البهائم لا اذهان لها ولا أكف ولا أصابع تهيأ للأعمال كهيئة مؤنة ما يضربها بان جعلت كسوتها في خلقها باقية عليهم اما بقيت فلا محتاج الى استبدالها ولا تجديد بغيرها بخلاف الأدي فانه ذو فهم وتدبير وأعضاء مهيأة لأعمال ما يقترحه وله في اشغاله بذلك صلاح وفيه حكمة فانه خلق على قابلية لفعل الخير والشر وهو الى فعل الشر اميل الى فعل الخير فجعلت الاسباب التي يحصل بها ما هو محتاج اليه ليشغل بها عما فيه فساده وهلاك دينه فانه لو اعطى الكفاية في كل احواله اهلكه الاشر والبطر وكان من اعظم الحيوانات فساداً في الارض واتصرف بعقله الذي هو مخلوق لينال به السعادة الى ما فيه شقاوته ثم ان الأدي مكرم يخير من ضروب الملابس

ماشاء فيلبس منها ماشاء ويخلع منها ماشاء ويتزين بها ويجعل ويتلذذ منها بما يشاء  
 ويكمل بها زينته وجماله وبهاءه في عين من يصحبه ويحب قربه ويطيب بذلك  
 رائحته وينعش نفسه وهذا من باب النعمة عليه والكرامة له بخلاف البهائم  
 فانها غنية عن هذا كله . انظر فيما اهتم الله البهائم والوحوش في البراري فانها  
 توارى انفسها كما يوارى الناس موتاهم فما احسن منها بالموت توارى بنفسه الى موضع  
 محتجب فيه حتى يموت والا فإين جثث السباع والوحوش وغيرها فانك لو  
 طلبت منها شيئاً لم تجده وليست قليلة فيخفي امرها لقاتها بل لو قال قائل اكثر من  
 الانس لم يبعد لان الصحاري قد امتلأت من سباع وضباع وبقر وحمير ووعول  
 وابل وخنزير وذئب وضروب من الهوام والحشرات واصناف من  
 الطير وغير ذلك مما لا يحصى عدده وهذه الاصناف في كل يوم يخلق منها  
 ويموت منها ولا يرى لها رمم موجودة والذي اجرى الله به عاداتها ان تكون  
 في اماكنها فاذا احست بالموت أتت الى مواضع خفية فتتوت فيها فانظر هذا  
 الامر الذي اهتم له هذه الاصناف في دفن جثثها بما فطرت عليه وشخص  
 لبني آدم بالفكر والتروي . تأمل الدواب كيف خلق اعينها شاخصة امامها  
 لتتار ما بين يديها فلا تصدم حائطا ولا تتردى في خزة واذا قربت من  
 ذلك نفرت منه وابتعدت نفسها عنه وهي جاهلة بعاقبة ما يلحقها منه اليس الذي  
 جبلنا على ذلك اراد صلاحها وسلامتها لينتفع بها ثم انظر الى قمرها مشقوقا الى  
 اسفل الخطم لتتمكن من نيل العلف والرعي ولو جعل كفم الانسان لم تستطع  
 ان تتناول شيئاً من الارض واعينت بالحجفة لتقصم بها ما قرب منها فالهمت  
 قصم ما فيه صلاحها وترك ما لا غذاء لها فيه ولا صلاح انظر ما كان من  
 البهائم كيف يمز الماء في شربه مزراً وكيف خلقت فيه شعرات حول فمه يدفع  
 بها ما في شربها ما كان على وجه الماء من القندي والحشيش ويحركها تحريكاً

يدفع به الكدر عن الماء حتى يشرب صنوده فتقوم لها هذه الشمرات مقامهم  
الانسان ثم انظر الى ذنب البهيمة وحكمته وكيف خلق كأنه غطاء في طرفه  
شعر فمن منافعه انه بمنزلة الغطاء على فرجها ودبرها ليسترها ومنها ان ما بين دبرها  
وطرق بطنها ابدأ يكون فيه وضرى يجتمع بسببه الذباب والبعوض ويجتمع أيضا  
على مؤخرها فاعينت على دفع ذلك بتحريك ذنبها فصار كأنه مدية في يدها تذب  
بها وتطرد عنها ما يضر بها ثم انها تعطف برأسها فتطرد به ما في مقدمها من  
الذباب أيضا ثم ان الدابة أيضا اعينت بحركة مختصة وذلك ان الذباب اذا وقع  
عليها في مواضع بعيدة من رأسها وذنبها حركت ذلك الموضع من جلدها تحريكاً  
تطرد به الذباب وغيره عنها وذلك من عجب الحكمة فيما لا ينتفع بيدين ومن  
الحكمة فيه أيضا ان الدابة تستريح بتحريكه يمنة ويسرة لانها لما كان قيامها على  
أربع اشتغلت يداها أيضاً بالحمل لبدنها والتصرف فجعل لها في تحريك ذنبها  
منفة وراحة واعينت بسرعة حركته حتى لا يطول لها بما يعرض لها ومن  
الحكمة فيه ان البهيمة اذا وقعت في بركة أو مزرقة أو وحلت في طين أو غيره  
فلا تجدد شيئاً اهون على نهوضها وخلاصها منه من الرفع بذنبها ومن ذلك اذا  
خيف على حملها ان ينقلب على رقبتها عند هبوطها من مكان مصبوب أو ليسبقها  
رأسها فتسكب على وجهها فيكون مسكها بذنبها في هذه المواضع يعدلها  
ويعينها على اعتدال سيرها وسلامتها مما خيف منه عليها الى غير ذلك من  
مصالح لا يعلمها الا الحكيم العليم انظر الى مشفر الأيل وما فيه من الحكمة  
والتدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف وايصاله الى فمه فلو لا ذلك  
ما استطاع ان يتناول شيئاً في الارض اذ لم يجعل له عنق يمدده كسائر الانعام  
فلما عدم العنق في هذا الخلق جعل له هذا الخرطوم يمدده في تناول به ما يحتاجه  
فسبحان اللطيف الخبير انظر كيف جعل هذا الخرطوم وعاء يحمل فيه الماء الى

فهو ومنخرأ يتنفس منه وآلة يحمل بهما أراد على ظهره او يناول من هو راكب عليه انظر الى خلق الزرافة لما كان منشأها في رياض شاهقة خلق لها عنقا طويلا لتدرك قوتها من تلك الاشجار تأمل في خلق الثعالب فانه اذا حضر له بيتا في الارض جعل له فوهتين احدهما ينصرف منها والاخرى يهرب منها ان طلب ويرفق مواضع في الارض في بيته فان طلب من المواضع المفتوحة ضرب برأسه في المواضع التي رفقها فخرج من خير المنافذ وهي المواضع التي تحتمها انظر ما خلق الله تبارك وتعالى في جباته لصيانة نفسه وجملة القول في الحيوان ان الله تبارك وتعالى خلقه مختلف الطباع والخلق فما كان منه ينتفع الناس بأكله خلق فيه الانقياد والتدليل وجعل قوته النبات وما جعل منه للحمل جعله هادياً الطبع قليل الغضب متقاداً منفعل على صورته يهياً منه الحمل وما كان منه ذا غضب وشر الا انه قابل للتنظيم اذا نظم خلق فيه هذا القبول للتعليم ليستعين العباد بصيده وحرارته واعين بالآلات قد تقدم ذكرها ومن جملة ذلك القمل فانه ذو فهم مخصوص به وهو قابل للتأنس والتعلم ليستعان به في الحمل والحروب ومنها ماله غضب وشر الا انه متأنس بالانسان لمنفعته كالهرة ومن الطير ما للناس به انتفاع لما فيه من الالفة والتأنس فمن ذلك الحمام يألف موضعه فشغل بسببه الاخبار بسرعة اذا دعت حاجة الى ذلك وجعله الله سبحانه كثير النسل فيكون منه طعام ينتفع به ومن ذلك البازي فان طباعه تنتقل الى التأنس وان كان في طبعه مبيناً الا انه لما علم الله انه ينتفع بصيده جعل فيه القبول للتنظيم حتى خرج عن عادته وبقي يعمل ما يوافق اصحابه وقت الصيد وما خفي من الحكم في خلق الله تعالى اكثر مما علم

(باب في محكمة خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب وغير ذلك)  
قال الله سبحانه وتعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه

الا اتم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) انظر الى  
 النمل وما ألهمت له في احتشادهما في جمع قوتها وتعاونهم على ذلك وأعداده  
 لوقت عجزها عن الخروج والتصرف بسبب حرا وبرد والهمت في تقاب ذلك  
 من الحزم ما لم يكن عند من يعرف الوقب حتى تراها في ذلك اذا عجز به ضباع  
 حمل ما حمله أو جهد به اعانه آخر فيه فصارت متعاونة على النقل كما تعاون  
 الناس على العمل الذي لا يتم الا بالتعاون ثم انها الهدت حفر بيوت في الارض  
 تبتدىء في ذلك بأخراج ترابها وتقصد الى الحب الذي منه قوتها فتقسه خشية  
 ان يبت بنداوة الارض فن خلق هذا في جبلتها الا الرحمن الرحيم ثم اذا  
 أصاب الحب بلل اخرجته فنشرته حتى يجف ثم انها لا تتخذ البيوت الا فيما  
 علا من الارض خوفا من السيل ان يعرفوها ثم انظر الى النحل وما ألهمت اليه  
 من العجائب والحكم فان الباري سبحانه جعل لها رئيسا تتبعه وتهتدي به فيما  
 تناله من اقواتها فان ظهر مع الرئيس الذي تتبعه رئيس آخر من جنسه قتل  
 احدهما الآخر وذلك لمصلحة ظاهرة وهو خوف الاقتراق لانهما اذا كانا  
 اميرين وسلك كل واحد منهما مجا افترق النحل خلفهما ثم انها ألهمت ان ترعى  
 رطوبات من على الازهار فيستحيل في اجوافها عسلا فعلم من هذا التسخير  
 ما فيه من مصالح العباد من شراب فيه شفاء للناس كما اخبر سبحانه وتعالى  
 وفيه غذاء وملاذ للعباد وفيه من اقوات فضلات عظيمة جعلت لمنافع بني آدم  
 فهي مثل ما يفضل من اللبن الذي خلق لمصالح اولاد البهائم واقواتها وما يفضل  
 من ذلك فقيهه من البركة والكثرة ما ينتفع به الناس ثم انظر ما تحمله النحل  
 من الشمع في ارجلها لتوعى فيه العسل وتحفظه فلا تكاد تجد وعاء احفظ للعسل  
 من الشمع في الاجنح فانظر في هذه الذبابة هل في علمها وقدرتها جمع  
 الشمع مع العسل او عندها من المعرفة بحيث ربت حفظ العسل

العسل مدة طويلة باستقراره في الشمع وصيانتة في الجبال والشجر في المواضع التي تحفظه ولا يفسد فيها ثم انظر لخروجها نهاراً رعيها ورجوعها عشية الى اماكنها وقد حملت ما يقوم بقوتها ويفضل عنها ولها في ترتيب بيوتها من الحكمة في بنائها حافظ لما تلقيه من أجوافها من العسل ولها جهة أخرى تجعل فيها برازها مبعداً عن مواضع العسل وفيها غير هذا مما انفرد الله بعلمه انظر الى العنكبوت وما خاق فيها من الحكمة فان الله خاق في جسدها رطوبة تهبج منها بيتاً لتسكنه وشركاً لصيدها فهو مخلوق من جسدها وجعل الله غذاءها من أقواتها ينصرف الى تقويم جسدها والى خلق تلك الرطوبة المذكورة فتنصبه أبداً مثل الشرك وفي ركن الشرك بيتها وتكون سعة بيتها بحيث يغيب شخصها والشرك من خيوط رفاق تلتف على أرجل الذباب والناموس وما أشبه ذلك فاذا أحست ان شيئاً من ذلك وقع في شركها خرجت اليه بسرعة وأخذته محتاطة عليه ورجعت الى بيتها فتقتات بما يتيسر لها من رطوبة تلك الحيوانات وان كانت مستغنية في ذلك الوقت شكاته وتركته الى وقت حاجتها فانظر ما جعل الله فيها من الاسباب لحصول قوتها فباغت في ذلك ما يباغته الانسان بالذكورة والحيلة كل ذلك لاصلاحها ولئيل قوتها ولتعلم ان الله هو المدبر لهذا ثم انظر من العجائب دود القز وما خلق فيه من الاشياء التي يحير منها وتذكر الله عند رؤيتها فان هذا الدود خلق لمجرد مصلحة الانسان ومنافعه فان هذا الحيوان الذي يخلق من جسمه الحرير وذلك ان صورة البزير تخضن حتى اذا هي عاد دوداً كالذر فيوضع هذا الدود على ورق التوت فيغتذى منه فلا يزال يرعى منه حتى يحفر جسمه فينبعث الى عزل نفسه جوز الحرير فلا يزال كذلك حتى يفنى جسمه وتعود جوزة حرير ويصير هو جسماً ميتاً لا حياة فيه ثم انظر فان الباري

سبحانه لما أراد حفظ هذا الجنس ببقاء نسله فمعد ما ينتهي من عزل الحرير ويعني ذلك الجسم يقبله الله الى صورة طائر صغير قريب من صورة النحل فيجمع على بساط أو غيره وهو في رأي العيين جنس واحد لا يميز منه الذكر من الانثى فيعملو الذكر منه على ظهر الانثى ويقيم لحظة على ظهرها فتجبل لوقتها وتلد لوقتها مثل ذلك البزر الذي حضن أو لا ثم يطير فيذهب فلا يبقى بها انتفاع اذ قد حصل منها المقصود وهو ذلك البزر فانظر من الهمها الرعى من ذلك الورق حتى يرتب منه ومن الهمها الى عزل أجسادها حريرا حتى يعنى فيها عزاته ومن ربي لها أجنحة وقلب صورتها حتى صارت على هيئة تمكّن فيها اجتماع الذكر والانثى لتناسلها ولو بقيت على صورتها الاولى لم يأت منها تناسل ولا هذا الاجتماع . ثم انظر ما يسره الباري سبحانه من عمل ما عزلته هذه الدودة على من يعمله من بنى آدم حتى يكون منه أموال كثيرة وملابس عظيمة وزينة . وانظر هذا التسخير العجيب في هذا الحيوان اللطيف وما أظهر فيه سبحانه من بديع الصنع وعجيب العمل وعظيم الاعتبار وما جعل فيه من البرهان والآيات على بعث الاموات واعادة العظام الرفات سبحانه لا آله الا هو العلي العظيم . ثم انظر الذبابة وما أعينت به في نيل قوتها فانها خلقت بأجنحة تسرع بها الى موضع تنال فيه قوتها وتهرب بها عما يهلكها ويضربها وخلق لها ستة أرجل تعتمد على أربع وتفضل اثنتين فان أصابها عثار مسحته بالرجلين اللذين تليهما وذلك لرقعة أجنحتها ولأن عينيها لم يخلق لهما الهداب لانهما بارزتان عن رأسهما وجعل هذا الحيوان وما جري مجراه مما يتعلق بنى آدم ويقع عليهم دائما وينغص عليهم عيشهم ليعرفهم الباري سبحانه هو ان الدنيا حتى تصغر عندهم ويهون أمر فراقها وهو وجه من وجود الحكمة عليهم تأمل كثيرا من الحيوان الصغير عند ما تلمسه يعود كأنه جماد لا حراك به ويبقى على

ذلك ساعة ثم يتحرك ويمشي وهل ذلك الا لأن ما يصطاد انما يصطاده اذا دلت هيئته على عدم حياته فاذا كان شبيهاً بالجماد ترك كما ترك سائر الحجارة . تأمل العقاب عندما يصطاد السلحفاة يجدها كأنها حبر ولا يجدها فيها موضعاً لآكله فيصمد بها في مخالبه حتى اذا أبعده من الارض اعتدل بها على جبل أو حجارة وارساها فمشه بها الوقعة فيسقط عليها فانياً كلها فانظر كيف الهنم الطريق في نيل قوته من غير عقل ولا روية . انظر الى العراب لما كان مكرهاً خلق في طبعه الخذر ارضيانه نفسه حتى كأنه يعلم الغيب فيمن يقصده والهمن الاحتيال في اخفاء عشه لصون فراخه وقل احتفاله بالاشي خشية ان تشغله عن شدة حذره ولذلك قل ان يرى مجتمعا مع أنثى فيبدأ دأبه وحاله مع من له عقل وفطنة وتراه مع البهائم على خلاف ذلك فيقف على ظهورها ويأكل من دم البعير ومن أرواث الدواب وقت تبرزها واذا وجد شيئاً من قوته واكل منه وشبع دفن باقيه حتى يعاوده وقتاً آخر فمن خلق هذا في طبعه ودبره بهذا التدبير العجيب الا الله لأنه لا عقل له ولا روية . انظر الى الحدأة لما كانت مكروهة حففت نفسها بقوة طيرانها وتعاليلها وحففت في أمر قوتها بقوة بصرها فلها ترى ما تقف به في الارض مع علوها في الجو وتتخط نحو دسرته والهنات معرفة من هو مقبل ومن هو مدبر فتخطف ما تخطفه من الناس من وراءهم ولا تخطف مما يستقبلها لئلا يمنعها المستقبل بيديه واعينت لما كان غذاؤها من هذه الوجوه بأن جعلت لها مخاب كأنها السنائير لا يكاد يسقط منها ما ترفعه فسبحان المدبر الحكيم انظر الى الحيوان المسمى حرباء وما فيه من التدبير فانه خلق بطيئاً في نهضته وكان لا بد له من قوته فخلق على صورة عجيبة فخلقت عيناه تدور لكل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة في جسده ولا قصد اليه ويبقى جامداً كأنه ليس من الحيوان ثم اعطى مع السكون وهو انه يتشكل في لون

الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذبابة او غيره اخرج لسانه فيخطف ذلك بسرعة خفوق البرق ثم يعود على حاله كأنه جزء من الشجرة وجعل الله لسانه بخلاف المعتاد ليحقق به ما بعد عنه بثلاثة اشبار او نحوه فقد سخر له يصطاد به على هذه المسافة واذا رأى ما يريد ويخيفه شكل على هيئة وشكل ينثر منه من يصطاد من الحيوان ويكرهه فانظر هذه التي خلقت فيه لاجل علة نهضته فاعين بها . انظر الى الحيوان الذي يسمى سبع الذباب وما اعطى من الحيلة والرفق فيما يقتات به فانك تجده يحس بالذباب قد وقع قريباً منه فيركد ملياً حتى كأنه ميت أو جماد لا حراك به فاذا أحس ان الذباب قد اطمان دب ديباً رقيقاً حتى لا ينفره حتى اذا دار قريباً منه بحيث يناله بوثة وثب عليه فأخذه فاذا أخذه اشتمل عليه بجسده كله خشية أن يتخلص منه الذباب فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بظلان حركته فيقبل عليه فيغتذي منه بما يلائمه منه فانظر الى هذه الحيلة من فعله أو هي مخلوقة من أجل رزقه فسبحان الباري الحكيم . انظر الى الذر والبعوض الذي أوهرن الله قوتها واصغر قدرها وضرب بها المثل في كتابه هل تجد فيها نقصاً عما فيه صلاحها من جناح تطير به ورجل تعتمد عليها وبصر تقصد به موضعاً تنال فيه قوتها وآلة لهضم غذائها واخراج فضائه وانظر هل يمكن ان يعيش من غير قوت وهل يمكن ان يكون القوت في غير محل واحد واخرجه فضائه من غير منفذ ثم انظر كيف دبرها العزيز الحكيم فسواها وقدر أعضائها واستودعها العلم والمعرفة بمنافعها ومضارها وكله دليل على عاها وقدرته وحكمته البالغة فهي بعوضة صغرت في النظر ومع هذا فلو اهل السموات والارض من الملائكة فمن دونهم من العالمين وساير الخلق اجمعين أرادوا ان يعرفوا كيف قسم الخالق سبحانه اجزاءها وحسن اعتدال صورتها

في اعضاءها لما قدروا على ذلك الا تظاهراً لمنظر العجز منهم على عدم علم حقيقة  
 الخبر ولو اجتمعوا ثم تفكروا كيف ركبت معرفتها حتى عرفت ان ما بين  
 الجلد واللحم دماً وهو الذي هو غذاؤها ولولا معرفتها به لم تدم على مصه حتى  
 تطعمه وكيف همتها التي قصدت بها ان تطير الى المواضع الذي ألهمها ربها ان  
 فيه غذاؤها وكيف خرق سمعها وكيف سمعت حس من يقصدها وكيف  
 عرفت ان نجاتها في الفرار اذا ولت هاربة ممن قصدها فلن يدرك ذلك منها  
 الخلائق أجمعون ولو جزؤها ما ازدادوا في امرها الا عصى وبعدا عن المعرفة  
 في هذه الحكمة والقدرة في بعوضة فما ظنك بجميع مخلوقاته سبحانه وتعالى  
 علوا كبيرا

﴿ باب في حكمة خلق السمك وما تضمن خلقها من الحكم ﴾

قال الله تعالى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً) انظر واعتبر  
 بما خلق الله تعالى في البحار والانهار من الحيوان المختلف الصور والاشكال  
 وما فيه من الآيات البيّنات فانه تعالى لما جعل مسكنه في الماء لم يخلق له  
 قوائم ولم يخلق فيه ريشة لانه لا يتمشى وهو منغمس في لجة الماء وخلقته له مكان  
 القوائم اجنحة شداد يحركها من جانبه فيسير بها حيث شاء وكسا جلده كسوة  
 متداخلة صلبة تخالف لحمه متراصة كأنها درع لتقيه ما يعتمد اليه وما يؤذيه  
 وما لم يخلق له من السمك تلك الكسوة وهي التشر المتداخل المخلوق على  
 ظاهره خلق له جلداً غليظاً متمناً يقوم له مقام تلك الكسوة لغيره وخلق له  
 بصراً وسمعاً وشذاً ليستعين بذلك على نيل قوته والهرب مما يؤذيه وانظر كيف  
 أعطى في قعر البحر ما يناسبه في نيل القوت والهرب مما يضره وما علم الله  
 سبحانه ان بعضه غذاء لبعض كثره وجعل أكثر اصنانه يحمل ولم يجعل  
 الحمل منه مخصوصاً بالانثى دون الذكر كحيوان البر بل جعل الذكر والانثى

جنساً واحداً يخلق في بطونها مرة واحدة في وقت معلوم ذريمة مجتمعة  
مشملة على عدد لا يتحصر فيخلق من جوف واحدة عدداً لا يحصى وذلك من  
كل برة حوتا من الجنس ومن جنس آخر يخلق في الانهار وغيرها بغير توالد  
فيخلق منها اعداداً لا تحصر دفعة واحدة ومنه صنف يتوالد بالذكور والانثى وهذا  
الجنس يخاق له يدان ورجلان مثل السحابة والتمساح وماشا كلها ما فيتولد منهما  
بيض فاذا انفقس البيض بحرارة الشمس خرج من كل بيضة واحد من الجنس  
ولما علم الله سبحانه وتعالى ان السمك في البحر لا يمكن ان يحضن ما يخرج  
من بزره التي الروح في بزر جميعه عند ما يولد فيجد فيه جميع ما يحتاجه من  
الاعضاء عند القاء الروح فيه ليستقل ولا يفتقر الى أحد في كمال خاتمه فانظر  
هذه الحكمة والطف حيث لم يمكن حضانه في البحر ولا تربيته ولا معونته  
البتة جعله مستقلاً بنفسه مستغنياً عن ذلك كله ثم ان الله سبحانه كثره لان  
منه قوت جنسه وقوتاً لبني آدم والطير لذلك كان كثيراً ثم انظر الى سرعة  
حركته وان لم تكن له آلة كغيره من الحيوان وانظر الى حركة ذنبه وانقسامه  
وكيف يتبدل بذلك في سيره كما تتبدل السنينه برجلها في سيرها وخلقت ارياشه  
الواحد من جانبيه ليتبدل بهذا ايضاً في سيره فهو بمنزلة المركب وانظر الى عظامه  
كيف خلقت مثل العمود يبنى عليها في كل موضع منه ما يليق به من صورة  
العظم المشا كل لذلك العضو فهو كأنشاء المركب يمتد العظم الجاني الذي هو قوته  
ويخرج من اضلاع الى مراقي البطن والظاهر وعظام الرأس يحتاج اليه من الامر  
وبه قوامه وانظر الى ما كان منه كاسراً كيف اعين على نيل قوته لصلابة  
اللحم وقوة النهضة وكثرة الاسنان حتى انه لكثرة اسنانه تكون العضة الواحدة  
تجزيه عن المضغ . انظر الى ما خلق الله في البحر ضعيفاً قليل الحركة مثال اصناف  
الصدف والحلزون كيف حفظ بان خلق عليه ذلك الحصن الذي هو صلب

كالرخام ليصونه ويحفظه وجعل له بيتاً وسكناً وجعل ما يوالي جسده ناعماً  
انهم ما يكون وربما ضرب بيت بعض اصناف الخنزون حتى لا يكون فيه مطمع  
البتة واصناف منه خلقت في محائر مفتوحة لا يمكن ضيانتها لنفسها لتغلقها  
ولا يضيق مسلكها فجعل الله لها من الجبال والحجارة مغطي وجعل لها اسباباً  
تلتصق بها في الجبل فلا يستطيع اخراجها الا بغاية الجهد وجعل لها قوتاً  
من رطوبات الجبل تتأني حياتها بذلك وأما الخنزون الذي بيته كأنه كوكب فانه  
يخرج رأسه يرمى فاذا أحس بما يؤذيه ادخل رأسه في بيته وختم عليه بطابع صلب  
يقرب من صلابة بيته فيغيب أثره بالجملة فانظر هذا اللطف وان الله لم يهمل شيئاً  
واعلم ان الله حافظ لما في البحار وما في الآكام والجبال فتبارك الذي  
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى . وانظر الى أنواع من السمك يرمى قرب البر  
الصغير منها والجاني في الاعماق وقد خلق الله في جوفه صبغاً كأنه حبر وهو  
يخلق له فيه من فضلة غذائه كما يخلق اللبن في الضرع فاذا احس بما يؤذيه اخرج  
من جوفه ما يعكر موضعه ثم يذهب في الماء الذي تغير فلا يعرف كيف ذهب  
ولا كيف طريقه من تغيير الماء فعل الله ذلك له وقاية لنفسه وفعل فيه  
مصالح أخرى لا يعلمها الا خالقها . انظر الى نوع آخر من السمك اعين باجنحة  
مثل اجنحة الخفاش ينتقل بها عند وقوع الانواع من موضع الى موضع في  
الهواء من وجه الماء يظهر لمن لا يعرف ذلك انه من طيور البراء . انظر الى نوع  
آخر من أنواع السمك ضعيف وكثيراً ما يكون في الانهار وجعل الله فيه  
خاصية تصونه اذا اقتربت منه يد من يأخذه وفيه الروح تخدر البدن واليد فيعجز  
قاصده عن أخذه بذلك السبب فلو ملئت الكتب بعجائب حكم الله في خلق  
واحد لامتلأت الكتب وعجز البشر عن استكمالها وما هو المذكور في كل  
نوع تنبيه يشير الى أمر عظيم

- (باب في حكمة خالق النبات وما فيه من عجائب حكمة الله تعالى) -  
 (قال الله تعالى أمن خالق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء  
 فانبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تثبتوا شجرها الا الله بل هم  
 قوم يعدلون) انظر وفقك الله وسددك الى ما على وجه الارض من النبات  
 وما في نظره من النعم في حسن منظره وبهجته ونضارته التي لا يعدلها شيء من  
 مناظر الارض ثم انظر الى جعل الباري فيه من ضروب المنافع والمطامع  
 والروائح والمآرب التي لا تحصى وخالق فيه الحب والنوي مخلوقا لحفظ انواع  
 النبات وجعل الثمار للغذاء والتفككه والالتيان منها للعلف والرعي والخطب للوقود  
 والاشباب للعمارة وانشاء السفن وغير ذلك من الاعمال التي يطول تعدادها  
 والورق والازهار والاصول والمرووق والزرع والصبوغ لضروب من المصالح  
 لا تحصى ارايت لو وجدت الثمار مجموعة من الارض ولم يكن تثبت على  
 هذه السوق الحاملة لها ما كان يحصل من الخلل في عدم الاشباب والخطب  
 والالتيان وسائر المنافع وان وجد الغذاء بالثمرات والتفككه بها ثم انظر ما جعل  
 الله فيها من البركات حتى صارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر من  
 ذلك وأقل والحكمة في زيادتها وبركتها حصول الاقتيات وما فضل ادخر  
 للامور المهمة والزراعات وذلك في المثال كملك أراد عمارة بلدة فاعطى اهلها  
 من البذر ما يبذرونه وفضلة يتقوتون بها الى ادراك زرعهم فهذه هي الحكمة  
 التي أعم الله بها البلاد واصلاح بها العباد وكذلك الشجر والنخل يزكو  
 وتتضاعف ثمراتها حتى تكون من الحبة الواحدة الشيء العظيم ليكون فيه ما  
 يأكله العباد ويصرفونه في مآربهم ويفضل ما يدخر ويفرس فيدوم جنسه  
 ويؤمن انقطاعه ولولا نموه وبقاء ما يخلقه لكان ما أصابته جائحة ينقطع فلا  
 يوجد ما يخلف . تأمل في هذه الحبوب فانها تخرج في أوعية تشبه الخراطط

لتصونها وتحفظها الى ان تشتد وتستحکم كما تخلق البشيمة على الجنين فاما البزر وما اشبهه من الحبوب فانه يخرج من قشور صلبة على رؤسها امثال الاسنة لينع من الطير فانظر كيف حصنت الحبوب بهذه الحصون وحجبت لئلا يتمكن الطير منها فيصيب بها وان كان يناله منها قوته الا ان حاجة الآدمي اشد واولى تأمل الحكمة في خلق الشجر واصناف النبات فانها لما كانت محتاجة الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوانات ولم يخلق فيها حركات تنبعث بها ولا آلات توصل اليها غذاءها جعلت اصولها مركوزة في الارض لتجذب الماء من الارض فتغتنى بها اصولها وما علا منها من الاغصان والاوراق والثمار فصارت الارض كالام المربية لها وصارت اصولها وعروقها كالافواه الملتقمة لها وكأنها ترضع لتبلغ منها الغذاء كما يرضع اصناف الحيوان من امهاتها الم تر الى عمود الخيم والفسطاط كيف تمتد بالاطناب من كل جانب ليثبت منصبته فلا يسقط ولا يميل فهكذا امر النبات كله له عروق منتشرة في الارض ممتدة الى كل جانب وتمسكه وتقيمه ولولا ذلك لم تثبت الاشجار العالية لا سيما في الرياح العاصفة فانظر الى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة واقتدى الناس في اعمالهم بحكمة الله في مصنوعاته وتأمل خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسيجا دقيقة عجيبا لو كان مما يصنع بايدي البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة الا في مدة طويلة وكان يحتاج فيه الى آلات وطول علاج فانظر كيف يخرج منه في المدة القليلة ما يملأ السهل والجبال ويقاع الارض بغير آلة ولا حركة الاقدرة الباري وارادته وحكمه ، ثم انظر تلك العروق كيف تتخلل الورق بلسر ملتصقيه وتوصل اليه المادة وهي بمنزلة العروق المبثوثة في بدن الانسان لتوصل الغذاء الى كل عضو منه وامام اغلظ من العروق فانها تمسك الورق بصلابتها وقوتها

العلائقتهك ويتمزق ثم انظر الى العجم والنوى والعلقة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليتقوم  
 مقامه اذا عدم ما يفرس او عاقه سبب فصار ذلك كاشي النيس الذي يخزن في  
 مواضع شتى اعظم الحاجة اليه فان حدث على الذي في بعض المواضع من  
 حادث وجد منه في موضع آخر ثم في صلابته يمسك رخاوة الثمار ورقها  
 ولولا له لسرحت وسرح الفساد اليها قبل ادراكها وفي بعضها حب يؤكل  
 وينتفع بدهنه ويستعمل في مصالح ثم انظر الى ما خلق الله تعالى فوق النواة  
 من الرطب ونوق العجم من العنبة والهيمه التي تخرج عليها وما في ذلك من  
 الطيم واللذة والاستمتاع للعباد ثم تأمل خلق الحب والنوى وما اودع فيه من  
 قوة وعجائب كالمودع في الماء الذي يخلق منه الحيوان وهو سر لا يعلم حقيقته  
 الا الله سبحانه وما علم من ذلك يطول شرحه ثم انظر كيف حفظ الحب  
 والنوى بصلاية وختمت في ظاهره قشرة حتى انه بسبب ذلك ان سقط في  
 تراب او غيره لا يفسد سريعاً واذا ادخر لوقت الزراعة بقي محفوظاً فصار  
 قشره الخارج حافظاً لما في باطنه بمنزلة شيء نفيس عمل له صندوق يحفظه وعند  
 ما يوضع في الارض ويسقى يخرج منه عرق في النوى وغصن في الهوى  
 وكلما ازداد غصناً ازداد عرقاً تتقوى به اصل الشجرة وينصرف الغذاء منه الى  
 الغصن فهي كذلك اذ يتم غصنها قوتها فتكون الفروع محفوظة عن  
 السقوط بالهوى والانكسار بالنقل او بغيره ويصعد الماء في جذرها الى  
 اعالي الشجرة فيقسمه الله سبحانه بالقسط وميزان الحق فينصرف للورق غذاء  
 صالح له وللورق المشبكة في الاوراق لاتصال الغذاء الى جوانب الورق  
 ما يليق بغذائها وللثمار غذاء صالح لها وللاقماع واللجا والازهار غذاء صالح لكل  
 من ذلك ما يليق به ويصلحه فهو كذلك حتى يكمل في الثمار نموها وطعمها  
 ورائحتها والوانها المختلفة وحلاوتها وطيبها ثم انظر كيف جعل الله سبحانه

خروج الاوراق سابقاً لخروج الثمار لان الثمرة ضعيفة عند خروجها تتضرر  
ببحر الشمس وبرد الهواء فكانت الاوراق ساترة لها وصار ما بينها من الترح  
لدخول اجزاء من الشمس والهواء لاغنى للشجرة عنها فيحفظها ذلك من المن  
والعضن وغير ذلك من الفساد ثم انظر كيف رتب الباري سبحانه الاشجار  
والثمار والازهار وجعلها مختلفة الالوان والاشكال والطبوع والروائح فاشكالها  
ما بين طويل وقصير وجليل وحقير والوانها ما بين احمر وابيض واصفر واخضر  
ثم كل لون منها مختلف الى شديد وصاب ومتوسط وطاووس ما بين حلو  
وحامض ومنه وتفه ومرورواؤها الى عذارات لذينات مختلفات وقد اوضح  
الكتاب العزيز من ذلك ما ذكرنا بما يشرح الصدور ويكشف للتأمل منه  
كل مستور فانظر ما اودع الباري سبحانه فيها من السر عند النظر اليها فانها  
تجلى عن القلوب درنها عند مشاهدتها وتشرح الصدور برؤيتها وتنتش  
الذنوس لرونق بهجتها واودع الله سبحانه فيها منافع لا تحصى مختلفة التأثير  
فمنها ما تقوي به القلوب ومنها اغذية تحفظ الحياة وجازاها مودة لذيذة عند  
تناولها وخلق فيها بزورا الحفظ نوعوا تزرع عند جفافها وانفصال وقت نضارتها  
انظر وتأمل ما في قوله عز وجل (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن  
وصعب للاكلين) فأخرج سبحانه فيما بين الحجر والماء زيتا صافيا لذيذا نافعاً  
كما اخرج اللبن من بين فرث ودم ومن اخرج من النحل شراباً عسلاً مختلفاً  
الوانه فيه شفاء للناس ولو جمعت هذه الاشياء في مستقر لكانت مثل الانهار  
وكل ذلك لمنافع العباد فانظر ما فيه من العبرة لذوي الافكار ثم انظر الى الماء  
الصاعد من العروق الراسخة الحافظة للاعلى من الشجرة وكيف قدم الباري  
في غذاء النخلة فقسم للجندر ما يصاح لها وللجريد وما فيه من السبل ما يصاح  
لها ويناسب جريدها ويرسل للثمرة ما يليق بها وكذلك الليف الحافظ للاصول

مع الثمرة وجعل الثمرة لما كانت ضعيفة في اول امرها متراسة متراكة بعضها فوق بعض مجموعة في غلاف متمن يحفظها مما يفسدها ويغيرها حتى اذا قويت صلحت ان تبرز للشمس والهواء فانشق عنها غلافها على التدرج وهو الذي كان حافظاً لها فيصير يفترق شيئاً بعد شيء على قدر ما تحتله الثمرة من الهواء والشمس حتى تكمل قوتها فتظور جميعها حتى ما يضر بها ما يلقاها من حر وبرد ثم تراها في النضج والطيب الي بلوغ الغاية المقصودة منها فيلتذ حينئذ بأكلها ويمكن الانتفاع بادخارها وتصرف في المآرب التي هيئت لها واعتبر ذلك في جميع الاشجار فانك ترى فيها من اسباب الحفظ ولطائف الصنع ما يعتبر به كل ذى فهم ولب فمن ذلك خلق الرمانة وما فيها من غرائب التدبير فانك ترى فيها شحماً مركوياً في نواصيها غليظ الاسفل رقيق الاعلا كما مثال التلال في تلويته او البناء الذي وسع اسفله للاستمرار ورقق اعلاه حتى صار مرصوفاً رصناً كأنه منضد بالايدي بل تعجز الايدي عن ذلك التداخل الذي نظم حبهما في الشحم المذكور وتراه مقسوما اقساماً وكل قسم منه مقسوم بلذائف رقيقة منسوجة اعجب نسج والطقة لتجيب حبهما حتى لا يلتقي بعضه ببعض فيفسد ولا يلاحق البلوغ والنهاية وعليها قشر غليظ يجمع ذلك كله ومن حكمة هذه الصنعة ان حبهما لو كان حشوها منه صرفاً بغير حواجز لم يمد بعضه بعضاً في الغذاء فجعل ذلك الشحم خلاله ليمده بالغذاء ألا ترى اصول الحب كيف هي مركوزة في ذلك الشحم ممدودة منه بروق رفاق توصل الى الحب غذاءها والى حبة حبة غذاءها ومن رققها وضعفها لا تكدر على الاكل ولا تعرف بها ثم انظر ما يصير من الحلاوة في الحب من اصول مرة شديدة المرارة قابضة ثم تلك اللذائف على الحب تمسكه على الاضطراب وتحفظه ثم حفظ الجميع وغشاءه بقشر صلب شديد القبض والمرارة وقاية له من الآفات فان هذا

النوع من النبات للعباد به انتفاعات وهو ما بين غذاء ودواء وتدعو الحاجة اليه في غير زمانه الذي يجني فيه من شجره حفظ على هذه الصفة لذلك انظر الى عود الرمان الذي هي متعلقة به كيف خلق مشبهاً متقنا حتى تستكمل خلقها فلا تسقط قبل بلوغها الغاية المحتاج اليها وهي من الثمرة المختصة بالانسان دون غيره من الحيوان انظر الى النبات المتمد على وجه الارض مثل البطيخ واليقطين وما أشبه ذلك وما فيه من التدبير فانه لما كان عود هذا النبات رقيقاً رياناً ذا احتياج الى الماء لا ينبت الا به جعل ما ينبت به منبسطاً على وجه الارض فلو كان منتصباً قائماً كغيره من الشجر لما استطاع حمل هذه الثمار مع طراوة عودها ولينها فكانت تسقط قبل بلوغها وبلوغ غاياتها فهي تمتد على وجه الارض لبلوغ الغاية وتحمل الارض عودها واصل الشجرة والسقي يمددها وانظر هذه الاصناف كيف لا تخلق الا في الزمن الصالح لها ولما تناولها فهي له معونة عند الحاجة اليها ولو أتت في زمان البرد لفرت النفوس عنها ولاضرت بأكثر من يأكلها ثم انظر الى النخل لما كانت الانثى منه تحتاج الى التلقيح خلق فيها الذكر الذي تحتاج اليه لذلك حتى صار الذكر في النخل كأنه الذكر في الحيوان وذلك ليم خلق ما يوراعته تحفظ أصول هذا النوع ثم انظر ما في النبات من العقاقير النافعة البديعة فواحد يفور في البدن فيستخرج الفضلات الغليظة وآخر لاخراج المرارة السوداء وآخر للبلغم وآخر للصفراء وآخر لتصريف الرياح وآخر لشد البطن في الطبيعة وآخر للاسهال وآخر للقيء وآخر لزوال الحمى وآخر للمرضى والضعفاء وكل ذلك من الماء فسبحان من دبر ملكه بأحسن التدبير

❦ باب ما تستشعر به القلوب من العظمة لعلام الغيوب ❦

قلل الله العظيم (سبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً) وقال تعالى

تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون  
لن في الارض وقال تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) اعلم وفقنا  
الله واياك ان جميع ما تقدم ذكره في هذا الكتاب من بدائع الخلق وعجائب  
الضنع وما ظهر في مخلوقاته من الحكم آيات بينات وبراهين واضحة ودلائل  
دالات على جلال باريها وقدرته ونفوذ مشيئته وظهور عظمته فانك اذا نظرت  
الى ما هو أدنى اليك وهي نفسك رأيت فيها من العجائب والآيات ما سبق  
التنبه عليه وأعظم منه ثم انك اذا نظرت الى مستقرك وهي الارض واجبات  
فكرك فيها وأطالت النظر في استرسال ذهنك فيما جعل فيها وعلمها من جبال  
شاخحات وما احيط بها من بحار زاخرات وما جرى فيها من الانهار وما انبت  
فيها من أصناف النباتات والاشجار وما بث فيها من الدواب الى غير ذلك  
مما يعتبر به اولو الالباب ثم اذا نظرت الى سمعها وبعد اكتنافها وعلمت عجز  
الخلائق عن الاحاطة بجميع جهاتها وأطرافها ثم نظرت فيما ذكرته العلماء من  
نسبة هذا الخلق العظيم الى السماء وان الارض وما فيها بالنسبة الى السماء كحذقة  
معلقة في أرض ثلاثا وما ذكره النظار من أن الشمس في قدرها تزيد على قدر  
الارض مائة ونيئا وستين جزءا وان من الكواكب ما يزيد عن الارض  
مائة مرة ثم انك ترى هذه النيرات كلها من شمس وقمر ونجوم قد سعوتها  
السموات وهي صر كوزة فيها ففكر في السماء الحاوية لهذا القدر العظيم كيف  
يكون قدرها ثم انظر كيف ترى الشمس والقمر والنجوم والسماء الجامعة لذلك  
في حذقة عينك مع صغرها وبهذا يعرف بعد هذا كله منك وعظم ارتقائه  
ولا جل البعد ترى هذه النيرات صغيرة في رأي العين ثم انظر الى عظم حركتها  
وانت لا تحس بها ولا تدركها لبعدها ثم انك لا تشك ان الفلك يسير في لحظة  
قدر كوكب فيكون سيره في لحظة قدر الارض مائة مرة واكثر من ذلك

وانت غافل عن ذلك ثم فكر في عظم قدر هذه الاشياء واسمع قدم الرب سبحانه بها في مواضع الكتاب العزيز فقال عز وجل (والسماوات البروج) (والسماوات والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) وقال (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقدم لو تعلمون عظيم) الى غير ذلك من الآي ثم ترق بنظرك الى ما حواه العالم العلوي من الملائكة وما فيها من الخلق العظيم وما اخبر به جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن اسرافيل عليه السلام بقول جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل وان العرش لعلى كاهله وان رجليه لفي تخوم الارض السفلى واعظم من هذا كله قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) فما ظنك بمخلوق رسع هذا الامر العظيم فارفع نظرك الى باري هذا العظيم واستدل بهذا الخلق العظيم على قدر هذا الخالق العظيم وعلى جلاله وقدرته وتمامه ونفوذه مشيئته واتقان حكمته في بريته وانظر كيف جمع هذا الصنع العظيم مسوك بغير عمد تقله ولا علائق من فوقه ترعه وتثبته فن نظر في ملكوت السموات والارض ونظر في ذلك بعقله وابه استناد بذلك المعرفة بربه والتعظيم لامره وليس للمتفكرين الى غير ذلك سبيل وكما ردد العقل الموفق النظار والتفكير في عجائب الصنع وبدائع الخلق اذداد معرفة ويقينا واذا عانا لبارئه وتعظيمهم الخلق في ذلك متفاوتون فكل مثال من ذلك على حسب ما وهبه له من نور العقل ونور الهداية واعظم شيء موصل الى هذه التوائد المشار اليها تلاوة الكتاب العزيز ووضوح ماورد فيه وتدبر آياته مع ملازمة تقوى الله سبحانه فهذا هو باب المعرفة بالله واليقين بما عند الله ثم انظر وتأمل ما نشير اليه فانك علمت على الجملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسري به الى ان بلغ المنتهى ورأى من آيات ربه الكبرى واطلع على ملكوت ربه وتحقق أمر الآخرة والاولى ودني من ربه حتى كان كقاب قوسين أو أدنى فما ظنك

يعلم من شرف بهذا المعنى ثم أمر بأن يقول (وقل رب زدني علما) وعلمك  
 يهرفته ومن عليك بنور هدايته واستعملنا وإياك بطاعته ووجهنا بكرمه اجمعين  
 من أهل ولايته بمنه وكرمه وجوده انه ولي ذلك

تم كتاب الحكمة في مخلوقات الله عز وجل سبحانه في نهار

الاثنين عاشر ذي الحجة الحرام يوم عيد الله الاكبر

سنة ٩٢١ على يد العبد الفقير الى الله تعالى عبد الله ابن

أبي عبد الله الطرابلسي بن المفتقر ان يغفر الله له

ولوالديه ولمشايخه ولاخوانه ولحميه

ولجميع المسلمين آمين والحمد

لله رب العالمين وصلى

الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه

وسلم